مشاعر مبعثرة

مشاعر مبعثرة (مسرحية)

نعيم فتح نور (كاتب عُماني)

الطبعة العربية الأولى 2022

© حقوق الطبع محفوظة بموجب عقد 2022

الآن ناشرون وموزعون

الأردن، عمّان

alaan. publish@gmail. com

هاتف: 797162720، 65620722 (962+)

الجمعية العمانية للكتاب والأدباء

سلطنة عمان، مسقط

omani- writers@hotmail. com

هاتف: 96824346753+ / 96824346754+

المدير العام: د. باسم الزعبي

تصميم الغلاف: بسام حمدان

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأيّ شكل من الأشكال، دون إذن خطّي مسبق من الناشر.

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مُصنفه ولا يعبّر هذا المصنّف عن رأي المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

رقم الإيداع في سلطنة عمان: (2021/4085)

ISBN: 978- 99969-863- 5- 2

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية الأردنية: (2021/12/6784)

نعيم فتح نور

مشاعر مبعثرة

مسرحيّة

مقدّمة

تكَ. تكَ. . تكَ. . . تكَ. . . .

تَتَوارى قنبلةٌ موقوتةٌ في مِزهرِ أنفُسنا، فيستحيلُ علينا توقّع لحظةِ اشتعالها ومقدار ما تخلّفهُ بعدها من مشاعر مُبعثَرة.

تكَ. تكَ. . تكَ. . . تكَ. . . .

توضيح

من أجل فهمٍ أعمق لهذه المسـرحيّة:

توافدوا...

دون سابق موعد، جَمَعهم القدر في هذه المحطّة المنسيّة التي تـرزحُ تحـت أطنانٍ من رماد النسيان. كلٌّ يحملُ في داخلِه همومَه وأحلامَه وذكرياتِـه وآلامَـه ومشاعره المُبعثَرة، ويدفنها في حقيبة سـفره، ولا يـدري أحـدٌ مـا يخبّئـه ضـبابُ ساعات الأيام من أفراح وآلام ومشاعر مُبعثَرة.

الفصل الأول

المشهد الأول

(المكان: محطة الحافلات المنسيّة).

(تزعقُ الضّوضاء وتكشفُ لنا حجم الزّحمة المزعجة والمُتراكِمة في هذهِ المحطّة المنسيّة. في زاوية من المحطة يقبعُ مقهى أكل الدَّهر عليه وشرب. في المقهى المذكور مجموعة من الطاولات المُتناثِرة في المكان بشكل عشوائيّ وفوضوي يفضحُ المكان، ويلبسهُ - بجدارة - ثوب الإهمالِ وسوء التنظيم والذوق. وفي مكانِ بارزٍ من المحطّة تُطالعنا آلة حديثة (كابينة حديثة) تُستخدَم لاستخراجِ التذاكر بطريقة ميكانيكية متطوّرة وحديثة. الكابينة يتراقصُ على خصرها شريطٌ لاصقٌ ذُو لمعةٍ برّاقةٍ يدلُّ على جاهزيتها للعمل).

(**الوقت:** ليلًا آخر أيام الشتاء المُحتَضَر وبدايات الربيع المُنتظَر).

(يحيطُ ما يشبهُ إطار الصور بمحتويات المسرح حيث يحتضنُ كلَّ الموجودات من ديكورات وأشخاص ويسجنها داخل إطاره. في الجوَّ سحابة دخان كثيفة، مصدرها تدخين بعض روّاد المقهى المنسيّ وعَابري السبيل. الحركةُ نشطةٌ ودائمةٌ في محيطِ المحطّة، سببُها عابرو السبيل والمسافرون والقادمُون من السفر الذين يحتلّون طاولات المقهى المنسيّ وكراسيه بشكل عشوائي وفوضويّ صارخ. تُسمَعُ أصوات أبواقِ الحافلاتِ من بعيد، وتتداخلُ مع مناداة أصحابِ الحافلاتِ على

زبائنهم المُحتمَلين، وتمتزجُ بأصوات المسافرين وعابري السبيل ودبيبِ أقدامهم المستمرّ في المكان. في العمق ووسط المقهى المنسيّ، وفي مكان بارز يقبعُ العمّ منصور ولا يتحرك من مكانهِ، وكأنّ لهُ جذورًا في هذا المقهى المنسيّ. تصلُ إلى مسامعنا من حين لآخر ضحكات متقطّعة مصدرها عابرو السبيل الذين يحتلّون أغلب طاولات المقهى وكراسيه.

وتتمازجُ ضحكات عابري السبيل مع الضوضاء التي تصدرها أبواق الحافلات ومرورها في المكان بشكل مُتقطِّع. ومن مسجّلةٍ متهالكةٍ في زاوية بارزة من المقهى تصهلُ أغنيةٌ لأم كلثوم (أقبلَ الليلُ)، نسمعُ الأغنية التي تبدو كخلفيّة سمعيّة تختفي وتذوبُ مع ضوضاء المقهى ثم تعودُ بإصرار وتُواصِل مشاركتها وتفاعلها مع ما يدور فيه.

يدخلُ العمّ ألماس تعلو وجهَه نظّارة طبيّة وبيدهِ كتاب. يقتربُ من الآلة الحديثة، يرشقُها بنظرات كلّها حقد وكره دفين. الطفلُ نهار بملابس النادل يجولُ بين طاولات المقهى بخفةٍ ونشاطٍ. وعلى راحة يده صينيّة الشاي والماء والقهوة. يقتربُ من طاولة العمّ منصور ويضعُ بين يديهِ كوب شاي. ينصرفُ، ويجولُ بخفةٍ ورشاقةٍ بين طاولات المقهى. الطفلُ نهار يصطدمُ بالعمّ ألماس، وتسقطُ الصينيّة وما عليها على الأرض).

العمّ ألماس: تخنقني الكلمات ويُلفّني الضياعُ. يحوّلُ الألمُ أيامي إلى سرابٍ مخيفٍ لا أستطيعُ الوصولَ إليه. هذهِ هي حالتي منذُ أن وصلني أنّهم سيستغنون قريبًا عنّي وعن خدماتي في هذهِ المحطّة المنسيّة، ويستخدمون هذهِ الماكينة البكماء بدلًا منّي. سامحني يا بُنَيّ. سامحني يا نهار.

(العمّ ألماس يوقِعُ الكتاب على الأرض. ويقفُ في مكانهِ حائرًا. تصلُ إلى مسامعهِ ضحكاتُ الناس الموجودين في المكان).

العمّ ألماس: (يختنقُ بالكلمات) آه. الناس من حولي، ومع كُلّ ذلك لا أستوعبُ هل أنا منهم؟ هل أنا معهم...؟! أم أنّي واقف في مكاني كالشجرةِ اليابسةِ المنسيّةِ أُراقبهم. فقط أُراقبهم..؟!

(يصمتُ العمّ ألماس. يصلهُ صهيل ضحكات الناس المُتقطِّعة مرةً أخرى).

العمّ ألماس: (بمرارة): يا للألم! إحساسٌ بغيضٌ، مريرٌ، قاسٍ.

(الطفل نهار ينُظّفُ المكان ويجمعُ ما سقط منهُ).

فترة صمت.

(العمّ ألماس يأخذ الكتاب بين يديه ويحضنه، ثم يدورُ حول نفسهِ ثائرًا. ألماس يقفُ والألمُ يعصفُ به).

العمّ ألماس: (يستدركُ وكأنّه يخاطبُ نفسهُ): لديّ قناعة كاملة بأنّ جيوشَ الخوف، الحيرة، التيه، الألم كُلّها تتآمر علي وتُحاصرني، وتضعُ حياتي في خُرم إبرة، وترميني على حدود

الألـم المظلـم، وتُطـالبني بـالخروج مـن عـين خُـرمِ الإبـرةِ، وتحرّرُني من حـدود هـذا الألـم المـزمن، والعبـور وممارسـة حياتي كما يفعلُ الناس.

(العمّ ألماس يقتربُ من آلة الماكينة الجديدة، ويقفُ أمامها ويخاطبها):

وجـودكِ هـو الحقيقـة التـي أكـافحُ للهـروبِ منهـا والاختبـاء عنها، أو حتى تأجيل الاعتراف بها إلى حين.

(يـدورُ حـول آلـة الماكينـة الجديـدة والكتـاب في يديـه. يقتـرب منهـا متـردّدًا، ثـمّ يتشجّعُ ويلمسها، يبتعدُ عنها مرتبكًا خائفًا متألّمًا).

العمّ ألماس: (تخنقـهُ الغُصّـة): آه. يـا للألـم! يـا للألـم! ملمـسُ الحقيقـة كملمسِ النـار يلسـعُنا ويحرقُنـا ويؤلِمنـا، ويـتركُ خلفـهُ نُدبـةً تُغرَس في الفؤادِ وتلتهبُ من حينٍ إلى آخر.

(العـمّ ألمـاس يُعطـي الماكينـة الجديـدة ظهـرَه وكأنّـهُ يحـاول إخفاءهـا عـن الموجودين. يشعرُ بالبرد والخوف ينخران عظامَهُ. ويقومُ ويحضنُ الكتاب.

العمّ ألماس: (يحـدّثُ الفضـاء): مخـاضُ الخـوفِ دودٌ حقيـرٌ لا يـرحمُ، وينخرُ جدار نُفوسنا حتى يقضي علينا في النهاية.

(ينزع النظّارة الطبيّة ويمسح دمعة ثـم يعيـدها، ويعـودُ ويقتـربُ مـن الطفـل نهـار المنشغِل عنهُ بجمع ما وقع منهُ).

العمّ ألماس: (تخنقـهُ الكلمـات): أنـا أكابـدُ مرحلـةً عصـيبةً يـا نهـار. أقبـعُ تحتهـا، وأحتـاجُ بشـدّة لمـن أسـرّبُ لـهُ بعـضَ مشـاعري

ومخاوفي، وأفضفضُ لهُ بما يجُولُ في نفسي، وإذا لم أُنَفِّس عن همومي لأحدٍ فسأفقدُ ما تبقّى لي من عقل حتمًا، وسوف أُجَنّ لا محالة.

(الطفل نهار يقترب منه).

الطفل نهار: (باسمًا): لا عليك يا عمّ ألماس، لا عليك تَمسّك بطوق الصبر، ولا تفلتهُ مهما حصل، وسوفَ تُفرَجُ إن شاء الله تعالى. فبعد مُنحدَر الضيق وآلامهِ يأتي الفرجُ ضاحكًا بأنوارهِ وأفراحهِ يا عمّ ألماس، كما يقولُ لي جدّي منصور دائمًا.

(فترة صمت).

(العمّ ألماس يرشقُ الماكينة بنظراته الناريّة، ويبتعدُ عنها، ويقتربُ من الطفل نهار، ويضع يده على رأسه).

العمّ ألماس: (ساخرًا): انصرفْ إلى عملكَ يا بُنَيّ. هيّا انصرف لعملكَ.

(تصهلُ ضحكات روّاد المكان وتتشابك مع ما يرافقها من أصوات وضوضاء. العمّ ألماس يبتعد ويتّجه إلى حجرة بيع التذاكر ساخطًا، ويُطِلُّ برأسه من داخل شبّاك بيع التذاكر. يختفي صهيل الأغنية ويكاد يتلاشى. يدخلُ سائح أجنبيّ إلى المقهى مندفعًا متوتّرًا قلقًا. السائح الأجنبي وعلى ظهرِه حقيبة سفر. إنّه مُرتبِك، يهمُّ بالجلوسِ في وسط المقهى، ولكنّهُ يعدِلُ عن ذلك. السائح الأجنبي ينظرُ إليهم، ويحدِّث نفسه):

تضحكون. تُذَكِّرونني بالمُغفَّلين، الحاضر يُعطي ظهره للحاضر، إنّهُ تذكيرٌ مؤلمٌ بطيءٌ خانقٌ يومًا بعد يوم.

(السائح الأجنبي يخطو خطوات إلى الأمام ثمّ يستديرُ ويكملُ حديثه مع نفسه بألم عميق):

كانت دومًا تضحك معي، وبعدها تزرعُ قبلةً على خدّي. عندما أقفُ أمام المرآة لا أعرفُ مَن ينظرُ إلى وجهي ويبتسمُ لي ساخرًا. كلّ ما أُريدُه – فقط – أن يمرّ هذا اليوم اللعين.

(السائح الأجنبي يمسكُ صدره متألّمًا ويُخرِجُ منديلًا. ينزع نظارته الطبيّة، وبيد مرتعشة يمسح بالمنديل قطرات العرق عن جبينهِ المتوتّر والملتهب. يعيد النظارة إلى عينيه بيدهِ المرتعشة).

السائح الأجنبي: (يحدّث نفسهُ بألم): لأوّل مرّة في حياتي لا أستطيعُ رؤية مستقبلي. كأنّه سراب كلّما وضح استمال واستحال، أعيشُ كلّ يوم متخفيًّا حتى عنّي، يرافقني فيه الألمُ، ويتأبّطُ ذراعي، ويُخرِجُ لي لسانه ساخرًا.

السائح الأجنبي: (يستدركُ ويغيّرُ من لهجتِه): ولكنّي قررتُ أن يكون هذا اليوم مختلفًا.

(يُرجِعُ المنديل إلى جيبهِ. يسقط منهُ المنديل دون أن يشعر بهِ، ويتّجه إلى حجرة بيع التذاكر).

السائح الأجنبي: (متلعثمًا ومرتبكًا): تذكرة ركوب حافلة لو سمحت.

العمّ ألماس: أيّةَ حافلة تُريد؟

السائح الأجنبي: لا يهمُّ. أقرب حافلة مغادرة، أعطني تذكرة لها. كلّ الدروبُ متشابهة لديّ.

العمّ ألماس: (مستغربًا): أيّة حافلة والسلام؟! حسنًا لكَ ذلك.

(يأخذُ السائح الأجنبي تذكرتَهُ. يجد الطفل النادل نهار المنديل على الأرض، والسائح يبحثُ عنه. ثم يرى المنديل مع النادل. يسرعُ ويقترب من نهار).

السائح الأجنبي: (مرتبكًا ومتلعثمًا يحاول رسم ابتسامة): عفوًا إنّهُ لي. تذكارٌ من زوجتي، لم يَبْقَ لي غير هذا المنديل، وبعض الصور المفرحة التي كانت تجمعني معها. أقتات على ذكرياتي معها.

السائح الأجنبي: (يستدركُ بألمٍ): تعبتُ من ألم الوقوفِ على هامش الأيام، ومن تجرُّع ألم العجز والوحدة، رحلتْ وتركَتْني ولطخة من الفراغ تتّسعُ في قلبي وتلتهمه، تركتني على حافّة الألم، أتسوّلُ ملامحَها، وأسكبُ ألف دمعةٍ تروي كأسَ السرابِ في نفسي.

(يمسحُ بطرف يدهِ دمعة فرّت من عينيه).

السائح الأجنبي: (تخنقه الدموع والكلمات): كنتُ أتمنّى أن تكونَ هُناكَ طريقةٌ ما للعودة إلى الماضي وإلغائِه أو تصحيحِه، أفكّرُ في

هذا العالم الذي يموجُ بالمرارة والحزن والمعاناة والألم،
وكم أتمنّى الهروب منه وتركَهُ والاختفاء بعيدًا عنهُ!

(الطفل نهار يعطيه المنديل وينصرفُ إلى عَمَلِهِ. السائح يختار لنفسهِ مكانًا. يعود صهيل الأغنية (أقبل الليل) من جديد، ويبقى كخلفيّة سمعيّة خافتة للمشهد.

السائح الأجنبي يضع الحقيبة أمامه على الطاولة. ويفتح الحقيبة بحذر كبير وينظر داخلها بحرص أشدّ وخوف، وينظر في ساعة يدهِ. يُغلق الحقيبة بحذر شديد وخوف ويضعها أمامه على الطاولة. تدخل امرأة مُسنّة مُفرِطة في السُّمنة على كرسيّ متحرّك تدفعه عاملة أجنبية. العاملة تنحني وتقترب من المرأة. المرأة المُسِنّة تهمسُ للعاملة. تقوم العاملة وتقرّبها من إحدى الطاولات البعيدة المنزوية في المقهى، والقريبة من طاولة السائح الأجنبي. وتُخرِجَ من سلّة تحملها زجاجة ماء وتعطيها لها. المرأة المفرطة في السمنة تشربُ، تبلّلُ ملابسَها، ممّا يدفع العاملة إلى تقديم يد المساعدة لها. ومن الجانب الآخر من المقهى يدخل جلال ولُبنى ويجلسان بهدوء في ركن جانبيّ من المقهى. يضع جلال هاتفه المحمول على سطح الطاولة. يدهُ تزحفُ عبر الطاولةِ دون شعور كما تعوّدَ. تهرب أصابع لُبنى من براثن أصابعهِ خائفة مرتبكة. لُبنى تُخبّئ يديها تحت الطاولة).

جلال: (معاتبًا) ما بكِ؟!

لُبنى: (هامسة ومرتبكة): الناس. الناس يا جلال! لا تنسَ نفسكَ. نحنُ في مكانٍ عام.

(تنفرجُ شفتا جلال عن ابتسامة عريضة. لُبنى تعيدُ يديها وتحضنُ حقيبة يدها. جلال يحضنُ يدي لُبنى بين كفّيهِ. يمنعها من الإفلات وسحب يديها).

جلال: (بثقة كبيرة تخنقهُ الضحكة) الناس! وما لنا والناس؟ أنسيتِ أننا زوجان أمامهم يا لُبنى؟

لُبنى: (هامسة بألم) زوجان!! كم أتمنّى يا جلال أن أستبدل بواقعي المرّ ما أعيشه معكَ الساعة!

(لُبنى تمسحُ دمعة فرّت من عينيها. جلال ينظر إليها ويبتسم لها. جلال يميل بجسمهِ وينظرُ في عينيها بحب).

جلال: (يقاطعها) أنا معكِ في السّراء والضرّاء يا حبيبتي، وبكُلّ ما أُوتيتُ من قوّةٍ وعزمٍ، وأحلامُكِ هي أحلامي.

(ينظر إليها باسمًا. لُبنى تبتسم لهُ بحذر شديد. يغافلها ويضع قُبلة على يدها. وتواصل الأغنية صهيلها).

جلال: (ضاحكًا) لُبنى اسمعي السيدة، لُبنى يا عمري، عيشي معي بريقَ اللحظة بكلّ ما فيها، ولا تفسدي علينا صفاء هذهِ الليلة وهناءها المفرح، ما اسم هذهِ الأغنية للسيّدة؟ أوّل مرة أسمعها.

(لُبنى تسرع وتبعِدُ يديها عنهُ، وتقوم وتعدِّلُ من وضع النّظارة السوداء التي تكادُ تلتهمُ معظم وجهها وتخفيه).

لُبنى: (تختنقُ بالكلمات وتواصل حديثها): لا أعرف. إنها المرّة الأولى التي أسمعها أيضًا.

(جلال يخرِجُ السيجارة ويشعلها منفعلًا. ويهمّ بوضعها في فمهِ، ولكنّهُ يعدلُ عن ذلك).

جلال: (باسمًا): دائمًا يا لُبنى تصطنعين الدراما في أيّ حديث، حبيبتي أنا أسعد إنسان في الوجود.

أخيرًا وافقتِ على مقابلتي يا لُبنى، وإن كنتُ أقترح في المرة القادمة أن نتقابل في مكانٍ أفضل من هذا.

لُبنى: (تقاطعه): جلال لن أخرج معكَ مرةً أخرى بعد اليوم. أتسمع؟ أنتَ لا تستوعبُ دوّامة الصّراع النفسي الذي أعانيهِ، الإحساس بالذنب يجلدني ويقتلني، ويمنعني من الاستمتاع والشعور بالرضا والسعادة مثلكَ.

(جلال يطفئ السيجارة ويدفنها في المِطفأة التي أمامه. ينظرُ إليها باسمًا):

أراكِ تُغالطين نفسكِ، لا أُصدّق أنّكِ غيرُ راضية ومستمتعة بالفرحة التي خطفناها من فمّ الزمن.

(ينظرُ إليها ويهزّ رأسهُ. يحاول ضَمَّ يديه):

أعلمُ أنّكِ خائفة ومرتبكة، وأنا أعذركِ، وأعرف وأقدّر كلّ ما تفعلينه من أجلنا.

(جلال ينظر إلى ساعة يدهِ. ثمّ ينظر إليها ويهبُّ واقفًا).

جلال: هيّا تبسّمي يا حبّي، سأحضرُ لكِ شيئًا تأكُلينه، حافلتكِ لن تأتي قبل ساعة من الآن.

لُبنى: وماذا يُوجد في هذا المقهى المنسيّ غير القهوة والشاي يا جلال؟

(جلال يقتربُ منها وينحني أمامها، ويكادُ يقبّلُ يديها. لُبنى تبعِدُ يديها مرتبكة).

جلال: (باسمًا ومازحًا): حسنًا. حسنًا. الناس. الناس. لا تقوليها. حبيبتي سأحضر لكِ بعض الفطائر المحلّاة من المطعم المجاوِر للمحطّة في أول الشارع. دقائق وأعودُ. لن أتأخّر.

(لُبنى تهزّ رأسها موافقة. يُغادر جلال طاولتها. لُبنى ترى هاتف جلال المحمول).

لُبنى: لقد نسيَ هاتفَه.

(يغيبُ صوت الأغنية ويكادُ يختفي، ويبقى خجِلًا لا يكاد يُسمَعُ، لُبنى تأخذ هاتف جلال بين يديها. تنزعُ النظّارة السوداء الكبيرة عن وجهها. تتفحّصُ جهاز الهاتف المحمول. تعيدُ الهاتف المحمول إلى مكانه. تقضمُ أظافر يدها. تمسكُ النظّارة السوداء بين يديها وتنظرُ حولها مرتبكة وهي في قمة الارتباك.

تصلُ إلى مسامع لُبنى ضحكات روّاد المقهى وهمهمات أحاديثهم، ودبيب وقع أقدامهم في المقهى المزدحم بهم. تنظر إليهم مرتبكة).

فترة صمت.

لُبنى: (تحدّثُ نفسها): آه يا للألم! كم أشعرُ بالشفقةِ على حامد زوجي! فهو يقدّمُ المستحيل لي وعلى أطباقٍ من ذهب، ولكن لا أدري لماذا لا أشعرُ بالسعادة معه؟ أشعرُ وأنا معهُ بطعناتِ الملل، وبخطواتِ الزّمن المملّة والرتيبة تلتهمُ براعم السعادة وتبعدِني عنه وتنفيني إلى حدود ألمي.

(لُبنى تقرعُ وتخبطُ بأصابعها على الطاولة وتُحدِث قرعًا رتيبًا).

لُبنى: (بألم): لولا وجود ابني عمر لانفصلت عنهُ، وتركتهُ منذ زمن طويل، ولكنْ ماذا أفعل؟ عمر يُحبّ والده كثيرًا، ولا يستطيع الاستغناء عنه.

(لُبنى تزفر الهواء بقوّة. تتحدّثُ مع نفسها بفم مفتوح).

(تستدركُ حديثها): ما باليد حيلة، ومثلما يقول جلال نتنظرهُ حتى يكبر، وعندها أطلب الانفصال عن حامد، ونبقى معًا أنا وجلال وعمر إلى الأبد، إنها مسألة وقت لا غير. يجب أن أتحمّل وأصبر، فالرغبة والاحتياج بئران لا قعر لهما.

(وفي هذهِ اللحظة يرنُّ هاتف جلال الموجود على الطاولة أمامها. لُبنى تهمّ بأخذ الهاتف. يتوقف الهاتف المحمول عن الرنين. لُبنى تتراجع عن أخذ

الهاتف. تضعه أمامها على الطاولة. تُخرِجُ من حقيبة يدها صورة لها مع جلال. تنظر إلى الصورة ثم تعيدها إلى حقيبة يدها، وتخرج قطعًا من الشكولاته تلتهمها.

يدخل المُصوِّر الشابّ خالد عبد الله المقهى حاملًا كاميرته التي تتدلّى من عنقه. يقف على مدخل المقهى، ويجول ببصره سريعًا فيه. تدخل منيرة المقهى وهي تجرُّ حقيبة سفرها في قمة الانفعال والضيق. تقتربُ من شبّاك بيع التذاكر. تعودُ الأغنية (أقبل الليلُ) للسّطوع من جديد، وتبقى حاضرة في المشهد، وإن كانت خجِلة تكاد تكون غير مسموعة).

منيرة: تذكرتين لو سمحت، واحدة لي والثانية لطفلتي منى.

(العمّ ألماس يبحثُ عن الطفلة. يخرجُ من مكانهِ ويقترب منها)

العمّ ألماس: وأين هي الطفلة؟!

منيرة: ستأتي. إنّها على الطريق، ستأتي مع والدها بعد قليل.

العمّ ألماس: سيدتي، سأعطيكِ تذكرتها، ولكن ليكنْ في علمكِ أنّك لن تسترجعي قيمة التذكرة في حال تأخّرها عن موعد انطلاق الحافلة. هذا للعلم.

(منيرة تنظرُ إلى العمّ ألماس بغضب كبير وانفعال):

(تقاطعهُ غاضبة): أقولُ لك: ابنتي ستأتي. أعطني التذكرة، ولن أطالبك بأيّ شيء في حالة تأخّرها.

(العمّ ألماس بائع التذاكر يكتب البيانات وهو ينظرُ إلى منيرة).

العمّ ألماس: عُلِم. وَجبَ التنبيه. تفضّلي سيدتي التّذاكر.

(يعطيها التّذاكر. منيرة تنصرفُ وتقف في زاوية من المقهى).

منيرة: (قلقة تحدّثُ نفسها): معقول يفعلها عبد السّلام ويحرمني من منى؟ لا. لا أظن. ستأتي حتمًا، ولا داعي للقلق، ستأتي دون شك. اهدئي يا منيرة، اهدئي واطردي عنكِ القلق!

(منيرة تواصل طريقها، وتجلس بمقربة من المرأة المُسِنّة وعاملتها الأجنبية ماري. المُصوِّر خالد يتّجهُ إلى شبّاك بيع التذاكر، ويأخذ تذكرتهُ من عند العمّ ألماس ثمّ يبتعد عنه. يدخل سراج وفرح إلى المحطّة. يتّجهان إلى المقهى. يتّجهُ سراج إلى شبّاك بيع التذاكر، ويأخذ أربع تذاكر وينصرف. يقتربُ سراج من فرح هامسًا):

تعالي نجلس هناك بعيدًا.

(يعطيها التذاكر الأربع. فرح تتفحّص التذاكر).

فرح: ومتى سنسلمهنّ التذاكر يا سراج؟

سراج: قبل صُعودِهِن إلى الحافلة.

(فرح تقتربُ من سراج. وتعودُ الأغنية (أقبل الليل) للسّطوع المتذبذب والخجِل. وتبقى كخلفية للمشهد).

فرح: (هامسة): لا أدري يا سراج يا أخي لماذا أشعر بالخوف والارتباك، وقلبي مقبوض؟!

سراج: (هامسًا): فرح. لا تقلقي يا أختاه. كُلّ الأمور ستسير مثلما خطّطنا لها. لا تقلقي وتصرّفي بشكل طبيعي. لا نريدُ لفتَ الانتباه. أم نسيتِ اتفاقَنا.

فرح: (هامسة): لماذا لم توافق على تأجيل موعد عمليتها إلى وقت آخر حتى نذهب جميعًا إلى المستشفى في سيارتك بعد خروجها من التصليح، وبذلك نُجنّبُ أنفسَنا كلّ هذا الحرج والقلق؟

(سراج يقتربُ أكثر وأكثر من أختهِ فرح هامسًا).

سراج: فرح! نحنُ نترقّبُ هذا الموعد من مدة طويلة، لو طلبنا تأجيله، فمتى سيحين؟

فرح: (هامسة تقاطعهُ): كلامكُ صحيح يا أخي. قد يأتي موعدها لإجراء العملية بعد أكثر من شهرين على أقرب تقدير.

(فرح وبسرعة خاطفه تمسحُ دمعة يتيمة فرّت من عينيها. سراج ينظر إلى فرح متأثّرًا، ويرسم ابتسامة على وجهه).

سراج: (هامسًا): لا تقلقي. كُلّ الأمور ستكون على ما يُرام. صدّقيني كلّها دقائق معدودة وتأتي الحافلة، ونغادر المكان دون أن يشعر بنا أحد. ولن يُفتضَح أمرنا. صدقيني. اهدئي وتعالي نجلس، هيّا بنا.

(يتّجه سراج وأختهُ للجلوس. ثلاثة أطفال بملابس رثّة يدخلون المقهى وهم يجرّون معهم كرة مطّاطية مُلوَّنة زاهية يتقاذفونها بينهم بفرح كبير. وهنا تزيد الأغنية (أقبل الليلُ) من سطوعها الصوتي الباهر. يلمحُ المُصوِّر خالد كرسيًّا بالقرب من العمّ منصور. ويخطو بتثاقل حتى يرميَ بجسمهِ المُنهَك على الكرسيّ. يحدثُ الأطفال الثلاثة وكرتُهم فوضى عارمة في المكان. الطفل نهار النادل ينظر إليهم ويتأمّلهم وهم يلعبون بفرح. ويستمرّون في إحداث ضوضائهم. وتشاركهم الأغنية (أقبل الليلُ) فرحتهم الطفولية. الطفل نهار النادل واقف وعلى راحة يدهِ صينيّة الشاي والماء. ينظر إليهم وهم يلعبون ويمرحون. جميع روّاد المحطة ينظرون باهتمام إلى الأطفال الثلاثة والكرة. العمّ ألماس بائع التذاكر يخرج منزعجًا من مكانه. يُسرعُ إليهم ويخطفُ الكرة منهم. يخفتُ السطوعُ الصوتي للأغنية ويكاد يتلاشى).

العمّ ألماس: (صارخًا ومنفعلًا): رجعتم ثانيةً؟! لقد أخبرتكم مرارًا وتكرارًا بعدم اللعب في محطتي. أنتم لا تفهمون!

(الأغنية تختفي وتتلاشى. الأطفال الثلاثة يحتمون ببعضهم والخوف على الكرة يتملّكهم ويُخرِسهم. العمّ ألماس يُخرِج مِقصًّا ويرفعه عاليًا)..

العمّ ألماس: (منفعلًا): اسمعوا. طوال وجودي في المحطة قوانيني هي النافذة هُنا.

فترة صمت. (ينظر إلى الماكينة الحديثة. العمّ ألماس يقتربُ من الأطفال).

العمّ ألماس: (يستدركُ): عندما يُشغّلون الآلة التي ينوُون استخدامها بدلًا منّي، عندها فقط افعلوا ما تشاؤون في المحطة أتسمعون؟ أمّا الآن فلا.

(فترة صمت).

(العمّ ألماس يدور حول نفسهِ وهو يتمتم بكلام غير مفهوم ولا مسموع. الأطفال الثلاثة ينظرون إليه بعيون خائفة. يعودُ ويقتربُ منهم. الأطفال ينكمشون على أنفسهم خائفين منه).

العمّ ألماس: (منفعلًا): لا فائدة تُرجَى منكم، ولكنّي أعرف الحلّ. نعم أعرف الحل، أعرف. كلّ هذهِ الفوضى بسبب هذهِ.

(العمّ ألماس في قمة الانفعال والغضب. يقتربُ من الأطفال، ويكاد يهاجمهم ويضربهم. جميع من في المقهى يتفرّج على ما يدور بينه وبين الأطفال. العمّ ألماس في قمة الغضب والانفعال وهو يدور في المكان. يقترب من الأطفال ثم يبتعد عنهم ليعود مرّة ثانية وهو في ثورة غضبه وانفعاله الكبير. الأطفال ينكمشون على أنفسهم خائفين منه. يحتمون ببعضهم من ثورة غضبه العارمة.

العمّ ألماس: (منفعلًا وفي قمّة الغضب): دون وجودها معكم، لن نراكم. هي من تحرّككم، وسوف أخمدُ كلّ هذا الإزعاج والفوضى إلى الأبد، لا أريدُ إزعاجًا في محطتي.

(يقومُ العمّ ألماس ويخنقُ الكرة بين كفّيه. السائح يرشقهُ بنظراته معترضًا ومستنكرًا ما يرى. العمّ ألماس ينظر إليهم غاضبًا. الأطفال الثلاثة يضعون

أيديهم في أفواههم خوفًا على كرتهم. الأطفال الثلاثة في قمّة خوفهم على الكرة، ألماس ينظر إليهم ساخطًا ويرفع المقصّ عاليًا. الأطفال الثلاثة يرفعون أيديهم ويضعونها على أعينهم كي لا يروا كرتَهم وهي تُمزَّقُ بالمِقصّ. يُسرعُ المُصوِّر خالد ويمسِك بيد بائع التذاكر، ويمنعهُ من تمزيق الكرة. خالد ينتشلُ المِقصّ من يد ألماس).

المُصوِّر خالد: (منفعلًا صارخًا): لا. أرجوك. أرجوك. توقّف. لا تفعل. إنّها كلّ ما لديهم، لا تقتل فرحتهم بمقصّك. توقّف.

(الأطفال الثلاثة يُنزِلون أيديهم عن وجوهم الخائفة الباكية. ألماس يقترب من خالد منفعلًا غاضبًا. الأطفال يتابعون حوار العمّ ألماس والمُصوِّر باهتمام كبير. المُصوِّر يحاول أخذ الكرة من ألماس الذي يرفض إعطاءه إيّاها. العمّ ألماس في قمة الانفعال ويدور في المكان. ينظر إلى الأطفال ويلتفتُ إلى روّادِ المقهى، ويقتربُ بعدها من المُصوِّر خالد).

العمّ ألماس: (في قمة الانفعال): إنّهم مزعجون لا يسمعون الكلام. وقد حذّرتهم أكثر من مرة دون فائدة.

المُصوِّر خالد: لن نخوضَ في هذا السِّجالِ الطويل والمرهق.

العمّ ألماس: (في قمة الانفعال) إنّهم مذنبون. مذنبون، ويجب أن يُعاقَبوا.

(المُصوِّر يمسك بيد العمّ ألماس ويسحبه معه. يُخطو وهو ممسك به إلى مقدّمة المقهى. الأطفال ينسحبون معًا ويتبعونهما، وعيونهما على الكرة التي بيد بائع التذاكر. العمّ ألماس يخطو معهُ مرتبكًا حائرًا).

المُصوِّر خالد: جميعُ البشر يتعثّرونُ ويذنبون، ولا يحقُّ لأحدٍ مهما كان أن يمسكَ عصا القيم والمُثُل فيُنَصِّبُ نفسه إلهًا على الآخرين، يحاكمهم ويصنّفهم كيفما شاء.

(العمّ ألماس ينظر إلى آلة تحصيل التذاكر الجديدة).

العمّ ألماس: (منفعلًا وساخرًا): بشر! أتقول بشر!!

(العمّ ألماس يقتربُ من خالد ضاحكًا وبحركة استعراضية يرفع يديهِ).

العمّ ألماس: (ساخرًا صارخًا): اصحُ يا هذا، أفِقْ، هذا ليس زمن البشر، هذا زمن الآلات!

(العمّ ألماس يقترب من خالد ويواجهه، ويأخذ منه المِقصّ. الأطفال الثلاثة مذهولون. نسمعُ فوضى أنفاسهم واضطرابها، وفحيح صرخاتهم المحبوسة. السائح الأجنبي يراقبُ ما يحدثُ أمامه باهتمامٍ كبير).

المُصوِّر خالد: أعتقد بأنّ القوة تكمن هنا.

(المُصوِّر يشير إلى قلب العمّ ألماس. ثمّ يتركه ويبتعدُ عنه قليلًا. يعودُ رُوّاد المقهى من عابري السبيل إلى ضوضائهم وصخبهم وضحكاتهم المتقطِّعة التي تمتزج بأبواق الحافلات ونعيقها المتقطِّع، وتعودُ معهم الأغنية (أقبل الليل) للسّطوع القوي الطاغي على المشهد وما فيه، العمّ ألماس وفي يده المِقصّ، يرفعه عاليًا بتردّد. يلاحظُ نظرات الجميع نحوه. يأخذ معه كرة الأطفال إلى حجرة بيع التذاكر، والأطفال الثلاثة في حالة من الذهول والحزن على كرتهم. يخرج من الحجرة ومعه أشلاء كرة أخرى حمراء اللون. يقوم

ويرمي بقايا الكرة الحمراء الممزَّقة أشلاؤها، ويقذفها في وجوه الأطفال الثلاثة. خالد ينظر إلى العمّ ألماس مستنكِرًا ما فعله. العمّ ألماس يرشق الماكينة غاضبًا ساخطًا. ويعودُ إلى حجرة بيع التذاكر منتصرًا. الأطفال يحاولون جمع أشلاء الكرة الحمراء المُمزَّقة، ويفترشون الأرض، والأشلاء أمامهم، ويحتضنونها وعيونهم تنزف دمعًا. السائح الأجنبي ينزع نظّارتهُ الطبيّة. تستمرُّ الأغنية (أقبل الليلُ) في سطوعها الباهر. يقوم المُصوِّر خالد ويلتقط لهم صورة وهم على هذهِ الوضعية. السائح الأجنبي يخفي وجهه عنه كي لا يظهر في الصورة التي يلتقطها خالد للأطفال، ثمّ يعيد حقيبته إلى مكانها على ظهره. ينهض. يقترب منهم ويرشقهم بنظراته. وبيدهِ يطلبُ منهم الاقتراب. يقتربُون منه. السائح الأجنبي يحدّثهم، فيقفزون فرِحين ومهلّلين بما يسمعونه منه. ينسحبُ معهم من المقهى. الأطفال الثلاثة يتركون أشلاء الكرة الحمراء خلفهم. يعودُ خالد المُصوِّر إلى طاولتهِ. ينظر إلى تذكرة ركوب الحافلة التي معه ثمَّ يضعها في جيبه. ينزعُ آلة التصوير عن رقبتهِ. يضعها أمامه على الطاولة. ويستعرض الصور التي معهُ في قلب الكاميرا، ثمّ يُرجِعُها إلى الطاولة. ينخفضُ في هذهِ اللحظة السطوع الصوتيّ للأغنية (أقبل الليلُ) ويبقى كخلفيّة خَجِلة للمشهد. المُصوِّر خالد يحمل الكاميرا بين يديه وينظر إليها ويمسحها بيده).

المُصوِّر خالد: (يحدّثُ الكاميرا بألم وانفعال): أين أعثرُ على الصورة المعبِّرة عن الحدث التي قد تنقلني معها، وتنتشلني ممّا أنا فيه من تخبُّط وشتات وضياع، وتبرِزُني في المكان الذي

أستحقّهُ عن جدارة؟ هي فرصة. نعم هي صورة قد تتغيّر معها كُلّ حياتي ومجرياتها، وتحقّقُ لي كلَّ ما أصبو إليه من أحلام وأمنيات شاردة.

(يدخل إلى مقهى المحطة محمود ومعه شهاب الشابّ الضرير. يُجلِسُه محمود بجانبه. يرنُّ هاتف محمود. يُخرِجُ هاتفَهُ المحمول، وينظرُ إلى الشاشة. يميلُ محمود مرتبكًا، ويقترب من شهاب الضرير).

محمود: شهاب! سأعود يا بُنَيّ.

شهاب: (باسمًا): حسنًا يا أبي ستجدني هنا.

(يبتعدُ محمود قليلًا عن شهاب الضرير وفي يدهِ الهاتف المحمول، يتحدّثُ فيهِ ويشرقُ وجهه بِشرًا وسعادة).

محمود: نعم يا بدرية! لقد وصلنا إلى المحطة منذُ قليل.

(فترة صمت).

صوت بدرية: (متلعثِمة ومتردّدة): محمود.. لا أدري ماذا أقول لك. أنا، أنا -بصراحة- متردّدة، وقد لا أستطيع الاعتناء بشهاب يا محمود. لا أستطيع.

محمود: (مستنكرًا تخنقهُ الكلمات): بدرية! أنتِ قابلت شهاب ابني، وجلست معهُ، وتعرّفتِ عليه، وقلت: إنكِ أحببتهِ، وإنّهُ ذكيّ، ويستطيع الاعتناء بنفسهِ، لا أفهم لماذا كلّ هذا التردّد؟

صوت بدرية: (تقاطعه منفعلةً): محمود. مَنْ هذهِ التي ترضى أن تبدأ حياتها الزوجية ومعها شابّ مُعاق ضرير يشاركها حياتها؟ لا أحد.

محمود: (يُقاطعها مستنكرًا): هذا ليس كلامكِ يا بدرية! ماذا حدث؟ ما الذي غيّرَكِ؟! لقد كنّا متّفقَين على كلِّ شيء، ماذا جدَّ؟! أنا لا أفهمُكِ! ما الذي غيّركِ بهذه السرعة؟!

صوت بدرية: (متلعثمة وتخنقها الكلمات): أنا. أنا، كنتُ. في الحقيقة.

(فترة صمت).

محمود: (منفعلًا صارخًا): ألوو. ألوو بدرية! بدرية ألا تزالين على الخط؟ ألوو. بدرية!

صوت والدة بدرية: (منفعلةً): أسمعك يا محمود. هذهِ أنا.

محمود: (في قمة الارتباك): خالتي!!

صوت والدة بدرية: (منفعلةً): نعم خالتكَ. اسمع يا محمود! لقد وافقنا على زواجِك من بدرية رغم أنّك أرمل، ولديك شابّ في عمر بدرية تقريبًا، وفوق هذا ضرير، وبدرية ابنتي، المتقدمون للزّواج منها في ازدياد، وأنت على علمٍ بكلّ ذلك، ورغم هذا كلِّه وافقنا عليك، ورضينا بكَ.

محمود: (يقاطعها وتخنقهُ الكلمات متلعثمًا): أعلم يا خالتي، وأنا ممتنٌّ لكِ.

(محمود يختلس النظرات إلى مكان جلوس شهاب. نهار يقدّمُ بعض الطلبات للموجودين في المقهى).

صوت والدة بدرية: (تقاطعهُ منفعلةً بحزم): إذاً. اسمعني جيّدًا. ابنُكَ الضرير.. ابنتي لن تكون خادمة له. ابنتي صغيرة، ولن تبدأ حياتها بالاعتناء بابنك الضرير، لا شيء يجبرها على ذلك.

محمود: (يقاطعها منفعلًا) ولكن يا خالتي هذا ابني.

(فترة صمت).

محمود: (مرتبكًا) خالتي. خالتي ألو!

(محمود يدورُ في مكانه منفعلًا ومرتبكًا وقلقًا).

محمود: (في قمة الارتباك): ألو. ألو خالتي!

صوت والدة بدرية: (تقاطعهُ وهي منفعلة): هذا ابنك. لا أحد ينكر عليك ذلك، وهي ابنتنا، ونحن لن نوافق على زواجها منك إذا أصررت على عيش ابنك الضرير معكم، إذًا اعتبرْ اتفاقَنا منتهيًا، وكلٌّ منّا يذهبُ في حال سبيله. مع السلامة.

محمود: (منفعلًا وبلهفة كبيرة يترجّاها): خالتي أم بدرية. انتظري يا خالتي. انتظري لا تُنهي المحادثة رجاءً.

صوت والدة بدرية: (منفعلةً): محمود! قرّرْ. والآن، ماذا قلت؟

(محمود يختلس النظرات إلى شهاب الضرير الجالس).

محمود: (وكأنه يحدّث نفسهُ): ماذا؟ وماذا في يدي؟

صوت والدة بدرية: (منفعلةً) ماذا قلت؟ لا أسمعك. ألوو.

محمود: (متلعثمًا): حسنًا يا خالتي. كلّ ما تطلبينه سأفعله يا خالتي، وشهاب سيعيش عند عمّته سعاد.

صوت والدة بدرية: (تخنقُها الضحكة): الآن أعجبتَني يا بُنَيّ. وهذه بدرية كلِّمْها يا بُنَيّ.

صوت بدرية: (مرتبكة) سامحْني يا محمود سامحني.

محمود: لا عليكِ يا بدرية. من أجل عينيكِ سأعمل المستحيل.

صوت بدرية: (هامسةً): لهذه الدرجة تحبني يا محمود؟

(محمود ينظرُ إلى شهاب)

محمود: (يقاطعُها منفعلًا): نعم، ومستعدّ أن أضحي بكلّ شيء حتى أفوز بكِ يا حبيبتي.

(شهاب الضّرير ينهضُ من مكانهِ. يتحسّس الفراغ بأصابعهِ. يصطدم بالكرسي ويُوقِعه على الأرض. نهار النادل يتقدّم منهُ ليساعدهُ).

الطفل نهار: دعني أساعدك.

شهاب: لا تحملْ همّي. أنا بخير. كلّ....

محمود: (ينهي المحادثة على عجلة): مع السلامة الآن يا بدرية، أحدّثكِ فيما بعد.

(يقتربُ محمود بسرعة من ابنهِ الضرير ويساعدُه. يبتسم للطفل نهار).

محمود: أشكرك. اذهبْ أنت، هو معي.

(ينصرفُ الطفل نهار النادل لحال سبيله).

محمود: ما بكَ يا شهاب؟! لماذا نهضتَ من مكانك؟!

شهاب: (وابتسامة على وجهه): أبي أستميحُكَ عذرًا. كُنتُ أريد الذهاب.

(شهاب يبلعُ ريقه خجلًا ثم يصمت).

شهاب: (يكملُ حديثه متلعثمًا): المكان جديد عليَّ، ولا أعرفُه جيّدًا. وإلّا كنتُ ذهبتُ وحدي).

محمود: (باسمًا): نعم فهمتك يا شهاب. تعالَ معي من هنا.

(محمود يمسك بشهاب الضرير ويقودُه خارجًا من المكان. تنخفضُ الإضاءة، وتتبعها الضوضاء الصادرة من مُسجّل المقهى وصهيل الأغنية وروّاد المقهى تدريجيًّا. تضيقُ الإضاءة وتختنقُ وتكاد تتلاشى وتنحصرُ، وتبقى بقعة ضوئية يتيمة خجِلة تتركّز على طاولة خالد والعمّ منصور).

المُصوِّر خالد: (يحدّث نفسَه): سأكتب لها رسالة كي تعرفَ وضعي الحالي. يجبُ أن أخبرها. يجبُ أن أخبرها. هي كلّ من لي في هذهِ الدنيا.

(خالد يُخرِج هاتفه المحمول، وبيد ترتجف يقوم ويكتب الرسالة. يكتبها وتنيرُ شاشة الهاتف المضيئة وجهَه القلِق والمُجهَد. خالد وعينُه على شاشة الهاتف المحمول).

المُصوِّر خالد: (يحدّث نفسَه): مريم حبيبتي، انتشليني من خوفي ومن نفسي، من مرارة آلامي وأحزاني. مريم حبيبتي. مدّيني بالصبر، أحبّكِ.

(يضع خالد الهاتف المحمول جانبًا. يقلّبُ الكاميرا بين يديهِ، ثمّ يضعها برفقٍ على الطاولة).

المُصوِّر خالد: (وكأنّهُ يحدِّث أحدًا أمامه): غدًا أنجحُ وأصبحُ مشهورًا، إنّها فرصة أنتظرها، فرصة واحدة تنقلني من وضعي البائس في الجريدة، وتضعني في مكاني المناسب، وهذهِ أوّل خطوة لي على درب النجاح والشهرة، لقد وافق مدير الجريدة أخيرًا على منحي هذهِ الفرصة الذهبية. أعطاني أسبوعًا ويجب أن أحضر لهُ سبقًا صحفيًّا ينتشلني من وضعي الحالي، ويضعني في مكاني الصحيح في الجريدة.

(المُصوِّر خالد يعيدُ الهاتف إلى جيبه. العمّ منصور ينظر إليه ويبتسم لهُ. المُصوِّر يغصب ابتسامة على فمه ويبتسم. ينشغل عن العمّ منصور ويتفقّدُ ساعة يدهِ. يقوم المُصَوِّر ويضع الكاميرا ويعلقها برقبته. تتّسعُ الدائرة الضوئية تدريجيًّا، وتشمل المقهى وما فيه من أشخاص وديكورات. تعودُ الضوضاء والضحكات القادمة من روّاد المقهى وعابري السبيل، وتعودُ الأغنية إلى الصهيل من جديد وتختلطُ بأبواق الحافلات، تعودُ من جديد وإن كانت منخفضة، وتبقى حاضرة كخلفيّة صوتيّة للمشهد. يدخلُ الآن عبد السّلام ومعهُ

الطفلة منى المحطة. الطفلة منى تمسك بدمية كبيرة بين ذراعيها الصغيرتين. تنطلق مسرعةً وتحضن أمّها منيرة. منيرة تقبّلُ الطفلة. عبد السّلام يقتربُ منها.

عبد السّلام: اعتقدتِ أنّي لن أُحضرها؟

منيرة: (متلعثمةً): لم أشكّ للحظة في ذلك، ولكنّكم تأخّرتم.

(عبد السّلام يضع يده على رأس الطفلة منى).

عبد السّلام: تأخّرنا عند والدتي. كانت تودّع منى، تعرفين كم تحبّها. أليس كذلك يا منى؟

الطفلة منى: (ضاحكةً): نعم يا أبي، وأنا كذلك أحبّ جدتي كثيرًا، أمي انظري لقد أهدتني جدّتي سلمى هذهِ اللعبة، انظري ما أكبرها يا أمي!

منيرة: (ساخرة): مَن الآن يلعَبُ بمثل هذا النوع من الدمى القديمة يا منى؟!

(الطفلةُ منى تتشبّث بالدمية الكبيرة، وتمسح بيدها على شعرها الطويل. تقتربُ من أُمّها. تُمسكُ مِعصَم أُمها وتهزّها مُترجّيةً ومُتوسِّلةً).

الطفلة منى: أمي، لماذا لا نأخذ جدّتي سلمى معنا؟!

منيرة: (مرتبكةً ومتلعثمة): جدّتكِ؟! ماذا؟ تذهب معنا؟! نعم. جدّتك مريضة يا بُنَيَّتي، ولا تقوى على مشقّة السفر والطريق.

(منيرة تُخرِج لوحًا من الحلوى من حقيبة يدها الصغيرة وتقدّمه إلى الطفلة التي تلتهمه بنهم وفرح. ثمّ تحضن الدمية الكبيرة وتلعبُ معها. عبد السّلام يقتربُ من منيرة).

عبد السّلام: (فرحًا): أبشّركِ. والدتي وافقت على إخلاء المنزل لنا. لا داعي لسفركِ وذهابكِ إلى أهلكِ.

منيرة: (تقاطعهُ بألم): عبد السّلام! خالتي أحبّها وأحترمها وليس بيني وبينها أيّ خلاف، فهي في منزلة أمي، كلّ الحكاية أنّني أريد الاستقلال بمنزلي الخاص بي الذي أرتّبهُ مثلما أشاء.

عبد السّلام: (يقاطعها): وهل تمنعكِ والدتي من ذلك؟! منيرة. الوالدة طوال الوقت في غرفتها لا تخرج منها، سوى للذهاب إلى المستشفى لغسيل الكُلى فقط، وأنتِ لكِ المنزل تتصرفين فيه كيفما شئتِ، فأين المشكلة؟ هذا ما لا أفهمه!!

(تهمّ منيرة بالابتعاد عن عبد السّلام، ولكنّها تعدِلُ عن ذلك، وتواجهه منفعلة):

منيرة: (تقاطعُهُ منفعلةً وغاضبةً): هذهِ هي مشكلتي معكَ يا عبد السّلام. أنتَ بُكلِّ بساطة لا تريدُ أن تقرَّ بمشكلتي وتمنحها حقّها المشروع من اهتمامك ورعايتك. يا رجل أقول لكَ: أريدُ منزلي الخاص بي، مملكتي التي أرتّبها على ذوقي، وحسب ما أريدُ وأحبُّ.

منيرة: (تستدرك حديثها): وأنتَ يا عبد السّلام قادر على تحقيقه، ولا يوجد ما يمنعُك. أنا أريدُ أبسط حقوقي عليك فقط. لا أكثر ولا أقلّ.

عبد السّلام: (متأثّرًا): منيرة. والدتي المريضة، أين هي من كشف حساباتِكِ وحقوقِكِ المزعومة هذهِ؟!

(منيرة ترشقه بنظراتها الحادة. وتمسك بحقيبة سفرها).

منيرة: (تُنفخُ الهواء من فمها): أرأيت؟ لا جديد في كلامك، مثل كلّ نقاش بيننا، نعودُ دائمًا إلى نفس النقطة المؤلمة، وكأنّنا ندور في دائرة، لا فائدة. لا فائدة.

(تسحبُ منيرة حقيبة سفرها، وتهمّ بالابتعاد عنهُ. تُمسِك الطفلة منى، وتسحبها معها بكلّ قوتها. تسقط الدمية الكبيرة على الأرض. تترك الطفلة منى يدَ أمّها. تذهب وتلتقط دميتها من الأرض. تعود منيرة وتمسك بها وتسحبها معها، وتجلس مع طفلتها بعيدًا عن عبد السّلام، الطفلة منى ومعها الدمية تحاول المغادرة والرجوع إلى والدها. تمنعها منيرة من المغادرة وتجبرها على الجلوس. ينهارُ عبد السّلام على كرسيّ قريب ويجلس ممسكًا برأسه. الطفلة تنظر إليه مستغربة وحائرة. خالد المُصوِّر يهمّ بالانصراف. العمّ منصور يسبقه ويضم كرسيّه ويقترب منهُ. ويمدّ يده إلى خالد ويصافحه).

العمّ منصور: (باسمًا) مساء الخير، يا للصُّدَف!

المُصوِّر خالد: (دون اهتمام) مساء النور. أهلًا.

(العمّ منصور يشير إلى الكاميرا المُعلّقة في رقبة خالد).

العمّ منصور: أول مرّة أعرف أنّكَ مُصّور!

خالد: (مستغربًا) عفوًا. أتعرفني يا عمّ؟!

العمّ منصور: أنا جارك. نسكنُ في نفس العمارة، الباب يقابلُ الباب.

المُصوِّر خالد: (مرتبكًا) جاري؟ معقول؟!

العمّ منصور: تصوّرْ. كما أخبرتُكَ! جارك.

(المُصوِّر خالد ينظرُ إلى العمّ منصور ويبتسم).

المُصوِّر خالد: (يستدرك مُتلعثِمًا): جيران يا عمّ، الجيران يلتقون ويتعارفون في العادة.

العمّ منصور: عرّفني على اسمك؟

(المُصوِّر خالد يمدُّ يده للعمّ منصور).

المُصوِّر خالد: المعذرة يا عمّ. خالد. اسمي خالد عبد الله يا عمّ، مصوّر أطمحُ إلى أن أكون صحفيًّا مشهورًا ذات يوم يا عمّ منصور.

(العمّ منصور باسمًا، ويده تحضن يد خالد).

العمّ منصور: (باسمًا) وأنا عمّك منصور، وأسكن في الشقّة المقابلة لشقّتك كما أخبرتك يا بُنَيّ.

(العمّ منصور يشير إلى آلة التصوير المُعلّقة في رقبة خالد).

العمّ منصور: أنتم – المُصوِّرين – أهمّ شيء لديكم هي الصورة. مُقدّسة هي عندكم.

(خالد يحدّقُ في آلة التصوير أمامه على الطاولة. يقلّبُها بين يديهِ. العمّ منصور ينظرُ إليه بحبٍّ واهتمام كبيرين. خالد وبين يديهِ الكاميرا).

المُصوِّر خالد: (ضاحكًا): كلامُكَ صحيح يا عمّ منصور. الصورة أهمُّ شيء، لكنّها ليست كلَّ شيء. فالفروق الأساسية بين نوعيّة الصور وقيمتها الفنية ليست بالضرورة فروقًا قائمة بين التطوّر التقني لآلات التصوير التي نصطادُ ونقتنصُ بها الصورة أو اللقطة أو الحدث، أكيد يوجد حدّ أدنى مطلوب من التقنيّة دون شكّ يا عمّ، ولكنّي أرى أنّ آلة التصوير الحقيقية للمصوّرهي عينه، عمّ منصور هل صادفت يومًا مصوّرًا أعمى أو ضعيف البصر؟!

(العمّ منصور يقوم ويرتشف من كوبه).

العمّ منصور: لقد برد الشاي.

(يضع العمّ منصور كوب الشاي جانبًا. ينظرُ إلى خالد بإعجاب كبير واهتمام).

المُصوِّر خالد: (يكملُ حديثه): وبطبيعة الحال هذهِ العين التي تصوّر وتوَثّق الحدث أو ما تراهُ، وتمنحُه مذاق الحياة والاستمرارية، وراءها في حقيقة الأمر عقل وبنية نفسية وسُلَّم قِيم، وهي طبعًا متباينة ومختلفة من مصوّر إلى آخر يا عمّ منصور.

المُصوِّر خالد: (يستدركُ حديثه): وقد تقول لي: وهل يتوجّبُ على كلّ المُصوِّرين أن يحتكموا إلى سلّم قيم وحيد؟ وأين يمكن أن يلتقوا؟ وأيّ الحالات هي التي يتعارض فيها الفنّ والأخلاق؟ أو متى يصبحان على خلاف أو تضاد فيما بينهما؟

العمّ منصور: (تخنقهُ الضحكة): كلّ هذا الإطراء والمديح لهذهِ الآلة؟!

(خالد والكاميرا بين يديهِ. يقلّب الكاميرا بين يديه. ينظر إليه منصور باسمًا).

المُصوِّر خالد: (تخنقه الضحكة): أنا أحملُ كاميرتي، وأتجوّلُ في تفاصيلها الجميلة كعاشقها الوحيد المُتيَّم بها وبكُلّ تفاصيلها الدقيقة الجميلة. (يستدرك حديثَهُ): تفاصيلها تتلوّى وتتعرّج، وتصمدُ وتنزلُ وتضيقُ، تتّسعُ، تموتُ، تبتسمُ، تفرحُ، تُنيرُ، تتألمُ.

(خالد يضع الكاميرا بحبّ على الطاولة، ويعودُ ويتحسّسها بأصابعه بفرح. يحضنُ الكاميرا بين يديه. العمّ منصور ينظر إليه باسمًا. خالد يتأمل الكاميرا).

المُصوِّر خالد: (يكمِلُ حديثَهُ): أنا يا عمّ منصور عندما أصوّر، وأقتنصُ اللحظة بصنّارتي الحبيبة، أعيدُ اكتشاف حبّي لها كلّ مرة، وحبّي للحياة والناس ولنفسي، أنا – وبكُلّ بساطة يا عمّ – أقبّلها، ولكنّي أقبّلها بطريقتي الخاصة طبعًا.

(يغرقُ منصور وخالد في موجة ضحك متواصلة. الطفلة منى تُجلِس دميتها على الكرسي المجاور لها. تنظر إلى والدها الجالس بعيدًا).

الطفلة منى: أمي هيّا نجلس عند أبي.

منيرة: (منفعلةً): اجلسي مكانَكِ دقائق. الحافلة ستأتي ونذهب من هنا.

الطفلة منى: (معترِضةً): أمّي. لا أريدُ الذهاب معكِ يا أمي، أريدُ الجلوس مع أبي وجدّتي.

(تنظر منيرةُ إلى الدميةِ الكبيرة القابعة على الكرسي المجاور. وتمسك طفلتها منى من كتفيها).

منيرة: (منفعلةً وغاضبة) الجلوس معهم وترْكي! هذا ما أخبروكِ بهِ في اجتماعهم السرّي. هذهِ هي لعبتهم، هيا انهضي. انهضي واذهبي إليه.

منيرة: (تستدرك حديثها منفعلةً): لن يمنعني شيء من تنفيذ ما أريده وأطمح إليه، هيّا اذهبي إلى أبيكِ ماذا تنتظرين؟ تحرّكي.

(منيرة تمسكُ بطفلتها من معصمها وتُنهِضُها من مكانها وتجرّها خلفها غاضبةً).

الطفلة منى: (مُتألّمةً): أي. أي ذراعي يا أمّي.. أنتِ تؤلمينني. أي.

(الطفلة منى تنهمرُ الدموع على وجنتيها، وتسقط دميتها. منيرة في قمة الانفعال والغضب. تنظر إلى طفلتها الباكية والدمية. تمسك بالدمية بكلّ قوتها وتضعها في يدها غاضبة. منيرة تُعيد الإمساك بالطفلة مِن معصمها، وتجرّها معها ناحية عبد السّلام. منيرة والطفلة يقتربان منه).

منيرة: (في قمة الانفعال والغضب): عبد السّلام! طفح الكيل يكفيني ما أعيشهُ من صراع.

(فترة صمت).

منيرة: (تكملُ حديثها بأسى) عبد السّلام! لقد وصلنا إلى طريقٍ مسدودٍ، ويجب أن نفترق.

(عبد السّلام ينظر إلى منيرة متفاجئًا ويقتربُ منها).

عبد السّلام: (يقاطعها): وكيف لي أن أتخلّى عن نصفي الآخر؟!

(عبد السّلام يحاول أن يمسك يديها. منيرة تبعِدُهما).

منيرة: (في قمّة انفعالها تخنقها الكلمات): أرجوكَ. لا تفعلْ. لا تفعلْ عبد السّلام.

(منيرة تقتربُ منهُ أكثر وتضع عينيها في عينهِ).

منيرة: (تستدرك حديثها): لا تصدّقْ الذي قال: إنّ الحبّ أعمى..

عبد السّلام: (متأثّرًا ومنفعلًا): منيرة! والحبُّ بالمثل أيضًا ليس واحة غنّاء.

(منيرة تجرُّ طفلتها من ذراعها الصغيرة، وتُسلِّم الطفلة منى إلى ذراع والدها).

منيرة: (منفعلةً غاضبة): خذ ابنتك وانصرفا من هنا. كلّ ما تفعلهُ أنت ووالدتُكَ لن يجديَ نفعًا، ولا داعي لاستخدام الطفلة وسيلة ضغط عليّ، فلن يثنيني شيءٌ عن تنفيذ ما عزمتُ عليه.

عبد السّلام: (يقاطعها): منيرة! اهدئي قليلًا، ولا داعي لكلّ هذا الصراخ. اخفضي صوتَكِ.

(منيرة تنظرُ إلى عبد السّلام، تقترب منه وتهاجمه وهي في قمة الانفعال والغضب).

منيرة: (منفعلةً صارخة): لا لن أخفض صوتي بعد اليوم، ولن أسكت أو أتنازل عن حقٍّ من حقوقي. أتسمع؟ سكتُّ بما فيه الكفاية.

(عبد السّلام يسرعُ ويقتربُ منها. الطفلة منى تنظرُ إليهم وهي في حيرة).

عبد السّلام: (يلاطفها): أنا أحبّكِ وأنتِ تعرفين.

(منيرة تنظر إلى عبد السّلام ثم تهاجمهُ بحديثها).

منيرة: (ساخرةً): وأنتَ تعرف أنّني لا أطالبك بالكثير، فأنا أقصى أمنياتي أن أكون معكَ وحدكَ، ودوُن شريك تحت سقف واحد.

(عبد السّلام يمسكُ رأسَهُ منزعجًا. يهمُّ بالجلوس على الكرسي. منيرة تعودُ إلى انفعالها من جديد. الطفلة منى حائرة تنظرُ إليهما وفي يدها دميتها).

عبد السّلام: (في قمّة الانفعال) لا أصدّق ما أرى وأسمع منكِ، كلّ هذا في داخلك يا منيرة!! الموضوع ليس موضوع منزلِكِ ومملكتِكِ كما تدّعين، الموضوع أكبر من هذا بكثير، ومع كُلّ ذلك أنا باقٍ على حبّكِ وأريد حياتنا معًا، ووالدتي أقسمتْ عليّ أن أُرضيَكِ وأُرجعَكِ معي، وهي من اليوم سوف تذهبُ للعيش عند عمّي سالم في الريف. فهيّا بنا نعود إلى منزلنا وننسى كُلَّ ما حدث.

منيرة: (ساخرةً): من فضلكَ لا تتلاعبْ بمشاعري. كلّنا يعلم صُعوبة ذهاب خالتي سلمى للسكن في الريف بعيدًا عن المستشفى بسبب غسيلها المستمر للكُلى، وضرورة وجودها قريبًا من المستشفى. أنسيت أنّني ممرّضة؟!

عبد السّلام: (يقاطعها): لقد حلّت أمي هذهِ المشكلة وطلبت مني توفير سائق خاص لها ينقلها إلى المستشفى حتى تُجري عملية الغسيل في موعدها.

منيرة: (وكأنّها تحدّث نفسها): معقول! تتحمّلُ خالتي سلمى كلَّ هذهِ المشقّة؟ ألا يكفيها مشقّة عملية الغسيل وآلامها ومعاناتها؟!

عبد السّلام: (يقاطعها بأسى): وماذا تريدينها أن تفعل يا منيرة؟ أمي لا تريد لبيتنا أن ينهدم وأن نفترق. هيّا بنا نعودُ إلى منزلنا وكلّ مطالبكِ مُجابة. لا داعي للسفر، هيّا بنا.

(عبد السّلام يقتربُ من الطفلة منى).

عبد السّلام: (تخنقهُ الضحكة والكلمات): هيّا بنا يا منى سنعودُ إلى المنزل.

(الطفلة منى تقفز فرحة مستبشرة. تصفّق بيديها بطريقة طفولية وتهتفُ).

الطفلة منى: (وكأنّها تغنّي تزاحمها الفرحة): سنعودُ إلى جدّتي سلمى، سنعودُ إلى جدّتي، ولن نسافر بعيدًا عنها. سنعود. سنعود.

(منيرة تُسكِت الطفلة بحركة من يديها، وتقتربُ من عبد السّلام).

منيرة: لا يا عبد السّلام. لن أعود الآن، اتركني أسافر إلى أهلي بضعة أيّام حتى تهدأ أعصابي.

عبد السّلام: ولماذا السفر ومشكلتنا انتهت؟!

منيرة: (منفعلةً) المشكلة لم تنتهِ. اتركني أسافر وأفكر وأقرّر ما أريد.

عبد السّلام: حسنًا.. أسبوع.

(فترة صمت).

عبد السّلام: تعالي نجلس ونشرب العصير.

(يرنُّ هاتف جلال مرة ثانية. لُبنى تنزعجُ من رنين الهاتف. يتوقّف عن الرنين. تسمعُ نغمة وصول رسالة صوتيّة لهاتف جلال. تقترب لُبنى من الهاتف).

لُبنى: (تحدّثُ نفسها): إنّها رسالة صوتيّة. ممّن يا تُرى؟!

(ترتعشُ يداها وهي تمسك بهاتف جلال. تقوم وتفتح الرسالة الصوتيّة وتسمعُها).

صوت نسائي رقيق: (بفرح كبير): جلال حبيبي! أبشّركَ. أمّي وافقت على الخطوبة، وطلبت منّي أن أخبرك. يوم الخميس يناسبكَ؟

(لُبنى تضعُ يدها على فمها غير مصدّقة لما تسمع. لُبنى تعيد تشغيل الرسالة مرة ثانية).

تسجيل الرسالة الصوتية : جلال حبيبي! أبشّرك. أمي وافقت على الخطوبة، وطلبت منّي أن أخبرك. يوم الخميس يناسبكَ؟

(لُبنى تنهضُ من مكانها وهي في قمّة الغضب والانفعال والارتباك وفي يدها هاتف جلال).

لُبنى: (تحدّثُ نفسها منفعلةً غاضبة): يا للألم! لا. لا أستطيع أن أفهم أو أستوعب ما أراه بعيني وأسمعُه بأذني، قلبي يمنعني من التصديق، ماذا أفعل يا ربّي؟ معقول! جلال يخدعني كلّ هذهِ الفترة! معقول! كلّ هذهِ الفترة وهو يتلاعبُ بي! لا أصدّق. أنا في كابوس لا محالة كابوس.

(لُبنى في حيرة من أمرها. تكاد تقع من طولها. لُبنى منفعلة وغاضبة).

لُبنى: (مصدومةً): وأنا الغبيّة البلهاء صدّقتُه ووثقتُ بهِ، ورميتُ بكلّ الدنيا وراء ظهري.

(تضعُ يدها على قلبها. تعودُ الأغنية إلى السّطوع والتوهج من جديد وتبقى كخلفيّة ناعمة هادئة).

لُبنى: (تخنقُها الكلمات والدموع): لا أريدُ أن أسمع أكثر، أسكتوها، أسكتوها، ستكون هذهِ دمعتي الأخيرة، ولن أبكي بعدها. (تحاول إخفاء دموعها عن رُوّاد المقهى. تضع يدها على صدرها وتمسك قلبها متألّمة. لُبنى تصارع أنفاسها المضطربة. ويستمرُّ سطوع الأغنية خافتًا خجلًا).

لُبنى: (تخنقُها دموعها): قلبي ممتلئ يموجُ بالحبّ والكره معًا. (تضربُ بيديها على الطاولة غاضبة ومنفعلة. وتدورُ حول نفسها).

لُبنى: (غاضبةً تحدّثُ نفسها): لقد أخطأتُ في حقّ مَن يحبني. أخطأت في حقّكَ يا حامد.

(لُبنى تمسحُ دموعَها بمنديل. تتوهج الأغنية سطوعًا وتبقى كخلفيّة للمشهد، لُبنى تأخذُ هاتف جلال معها. لُبنى تقتربُ من الطفل نهار النادل الذي يحمل صينيّة الشاي).

لُبنى: (مرتبكةً ومتلعثمة) أتوجد صيدلية قريبة من هنا؟

الطفل نهار: نعم. هناك في أولّ الشارع توجد صيدليّة مركزية كبيرة.

(لُبنى تغادر المكان مسرعة. وتعودُ الأغنية (أقبل الليلُ) للسطوع الصوتي الباهر من جديد. الطفل نهار (النادل) يقتربُ من مكان وجود العمّ منصور وخالد. العمّ منصور يصفّقُ بيدهِ للنادل الذي يقتربُ منهما).

العمّ منصور: (يحدّثُ خالد) هل تريد قهوة أم شايًا أم ربّما شيئًا باردًا؟

المُصوِّر خالد: (وعيناه على النادل الصغير): لا. لا شكرًا يا عمّ، أريدُ كأس ماء فقط.

العمّ منصور: (باسمًا) نهار بُنَيّ، كما سمعت كأس ماء لهُ، وآخر لي لأتناول دواء السكري.

الطفل نهار: سامحني يا جدي! نسيتُ موعد دوائك، الآن أحضرُ لكما الماء.

(ينصرفُ الطفل نهار سريعًا).

المُصوِّر خالد: (مندهشًا) حفيدُكَ؟!

العمّ منصور: نعم. حفيدي نهار يتيم الأبوين. توفّيا في حادث سير منذ أشهر عديدة.

المُصوِّر خالد: (مُتأثّرًا): رحمهم المولى وغفر لهم، وصبّركم على فقدهم يا عمّ منصور.

العمّ منصور: نهار حفيدي مثابر ومجاهد، فهو يعمل ليلًا في هذا المقهى. وفي الصباح يذهبُ إلى مدرسته.

المُصوِّر خالد: (متأثرًا): كان اللهُ في العون يا عمّ منصور.

(يأتي الطفل نهار ومعهُ الصينية وعليها كأسا الماء. يعطي المُصوِّر كأسَ الماء، العمّ منصور يُخرِج بعض الحبوب الطبية ويبلعها. الطفل نهار يُناولُه كأس الماء).

الطفل نهار: (متأثرًا): بالشفاء يا جدّي.

(ينصرفُ الطفل نهار إلى عمله. يدخل المقهى رجلٌ ملتحٍ يرتدي ثوبًا قصيرًا. الرجل الملتحي بيدهِ مسبحة يسبّحُ بها. الرجل يقتربُ من كشك بيع التذاكر. العمّ ألماس باسم).

الرجل الملتحي: باسم الله. السلام عليكم. تذكرة ركوب الحافلة المتوجّهة إلى المدينة لو سمحت يا عمّ.

العمّ ألماس: لقد تأخّرتَ. تحرّكت الحافلة منذُ قليل، سيكون عليك انتظار الحافلة الثانية التي ستتحرك تقريبًا خلال ساعة من الآن.

الرجل الملتحي: (باسمًا): لا عليك، أنتظر القادم من الحافلات.

(العمّ ألماس يعطيه التذكرة. الرجل الملتحي يأخذ تذكرة ركوب الحافلة. يهمّ بالجلوس بالقرب من سراج وفرح. ينظر إلى وجه فرح وشعرها السافر).

الرجل الملتحي: (يتمتم بصوت مسموع منزعجًا ومُتذمِّرًا): أعوذُ بالله من غضب الله. أعوذُ بالله.

(جميع مَن في المحطة ينظرون إلى الرجل الملتحي بخوف وريبة. يعودُ ويأخذ معه كرسيًّا، ويقتربُ من نافذة العمّ ألماس).

الرجل الملتحي: أيضايقك جلوسي هنا؟

العمّ ألماس: يمُكنك الجلوس.

(يقومُ العمّ ألماس ويخرجُ من مكانه. يجرُ كرسيًّا ويجلس بالقرب من الرجل الملتحي).

الرجل الملتحي: كما ترى، الخوف مني ومن مظهري وملابسي يُقيّدهم ويُخيفهم ويربكهم.

العمّ ألماس: (وبشيء من الحدّة): أنا لا ألومهم، فكلّ العالم في وقتنا هذا يربطُ بين المظهر الإسلامي وشبح الإرهاب، فكلُّ مُنقَّبَة في عيونهم إرهابي مُتنكِّر، وكلُّ ملتحٍ يحملُ تحت ملابسِه حزامًا ناسفًا.

(يعودُ محمود ومعهُ ابنه الضرير إلى المقهى).

محمود: أتريدُ شيئًا يا شهاب. كلّها دقائق قليلة وتأتي الحافلة؟

شهاب: أشكرك يا أبي.

محمود: (مرتبكًا): شهاب أريد أن أخبرك بأمر، ولكنّني لا أدري من أين أبدأ حديثي معك.

شهاب: نعم يا أبي.

محمود: (متلعثمًا): محمود بُنَيّ، منذُ أن توفيّت والدتك رحمها الله، والجميع ينصحني بالزواج، وأنا كنتُ أرفضُ فكرة الزواج، حتى تعرّفتُ على خالتك بدرية.

(شهاب منفعلًا يحاول الاقتراب من مكان وجود أبيه. الرجل الملتحي يبتعدُ عن العمّ ألماس ويجلس بعيدًا عن الجميع. محمود ينظرُ إلى شهاب باسمًا. محمود يضعُ يده على كتِفِ شهاب. وتستمرُّ الأغنية في توهّجها الخافت).

شهاب: (يقاطعهُ): أبي! أنا لست طفلًا، وأنا موافق على زواجك من خالتي بدرية، حتى أنا يا أبي ارتحْتُ لها، وانشرح لها قلبي.

محمود: (فرحًا): أرحْتني يا بُنَيّ، وأزحْتّ جبلًا من فوق كاهلي.

شهاب: (ضاحكًا) ما يسعدكَ يُسعدني يا أبي، ولكنني أشعرُ بالحزن على فراق عمّتي سعاد التي ربّتني من بعد وفاة والدتي وأنا طفلٌ رضيع، ولكنّني لن أنساها حتى وإن عشتُ مع خالتي بدرية، وأنت سوف تأخذني لزيارتها كلّما اشتقت إليها. أليس كذلك يا أبي؟

محمود: (مرتبكًا): أكيد. أكيد.

(يواصل شهاب حديثه. محمود ينشغل عنه بأفكاره ويحدّث نفسهُ)..

محمود: كيف أفاتحه بالموضوع؟! كيف أخبره بأنّ بدرية وأهلَها يرفضون عيشَه معنا؟ كيف؟ كيف؟ لا. لا. لن أخبرَهُ الآن. وسوف أجد طريقة أقنعهُ فيها بالبقاء مع عمّتِه سعاد، سوف يتفّهم موقفي ويقدّر، شهاب عاقل، ولن يقف عثرة في طريق سعادتي مع بدرية ويسبّب لي الألم، أعرفهُ.. قلبهُ طيّبٌ كقلب والدتهِ رحمها الله تعالى.

شهاب: (ينادي): أبي، ما رأيك؟

محمود: (مرتبكًا): رأيي بماذا يا شهاب؟!

شهاب: أريد أن أشتري لعمّتي سعاد شالًا.

محمود: شالًا ! حسنًا يا بُنَيّ.. عندما نصل نشتري لها الشّال. لا تقلقْ.

(يتلاشى سطوع الأغنية ويختفي، المرأة المُسِنّة والمُفرطة في السّمنة تنتابها نوبة الربو. فتمسكُ صدرها متألّمة وتنقطعُ أنفاسُها وتجحظُ عيناها. العاملة الأجنبية تبحثُ في حقيبتها الصغيرة التي تحملها في يدها. فرح تلاحظ ما يحدث للمرأة المُسِنّة التي تصارع الموت خنقًا).

فرح: سراج. انظر يا سراج إنّها نوبة ربو على ما أعتقد.

سراج: (منزعجًا): وهذا وقته الآن!!

فرح: هيّا ماري هيّا أسرعي، لماذا لا تعطينها أنبوبة الربو؟! إنّها تختنق. تختنق. تختنق!

سراج: (مرتبكًا) ماذا؟ أنبوبة الربو؟!

(سراج يُخرِج أنبوبة الربو من جيبه).

سراج: (بحسرة كبيرة) لقد نسيت الأنبوبةَ معي، ولم أعطها لماري في البيت.

فرح: (هلِعَة خائفة): والعمل؟ أمي تختنق يا سراج؟

(يقتربُ الرجل الملتحي من المرأة والعاملة. منيرة وزوجها وطفلتهم يقتربون من المرأة المفرطة في السّمنة. محمود ومعهُ ابنه يقتربان من الجميع. يدخل السائح الأجنبي ويجلس بعيدًا يراقب المجتمِعين حولها. يهرع خالد وينضم إلى المجتمعين حول المرأة المفرطة في السّمنة. العمّ ألماس يترك مكانَهُ في حجرة بيع التذاكر وينضمّ إليهم. الطفلة منى تحضن دميتَها خائفة).

الرجل الملتحي: رحماك يا رب! رحماك! المرأة تختنق.

شهاب: ما بها المرأة يا أبي؟!

محمود: لا أدري يا بُنَيّ، ولكنّها تكاد تختنق.

(السائح الأجنبي يُخرِج علبة سيجارته ويهمّ بإشعالها. السائح يضع علبة السيجار أمامهُ على الطاولة. السائح الأجنبي ومن مكانه).

السائح الأجنبي: (صارخًا): تبًّا. المرأة تختنق، أفسحوا لها المجال. تحتاج بعض الهواء.

العمّ ألماس: (صارخًا): توجد صيدلية على مقربة من المحطة، سأذهب لاستدعاء الصيدلاني في الحال.

(يخرجُ العمّ ألماس من المقهى مسرعًا. يقوم المتجمهرون حولها ويبتعدون عنها قليلًا. يكوّن المتجمهرون ما يشبهُ الدائرة المفتوحة حول المرأة المختنقة التي تتسارع نوبتها الحادّة. السائح الأجنبي لا يكلّف نفسه النهوض من مكانهِ، وفي يدهِ السيجارة).

السائح الأجنبي: (دون اكتراث): إنها نوبة ربو لا محالة، هذهِ أعراضها، زوجتي كانت أسيرة لسنين طويلة لهذهِ النوبات المؤلمة.

(المُصوِّر خالد والرجل الملتحي يقتربان من العاملة ماري).

المُصوِّر خالد: (منفعلًا): أنتِ مرافقتها، أين دواؤها؟!

ماري: (مرتبكةً): دواؤها. تقصد أنبوبة الربو. إنّها...

(العاملة ماري تمسك رأسها حائرة لا تدري ماذا تفعل).

الرجل الملتحي: (منفعلًا): أستغفرُ الله العظيم. كيف يتركونها وحدها مع هذهِ العاملة البلهاء؟

الرجل الملتحي: (يستدركُ حديثه منفعلًا): مؤكّد. هذهِ المسكينة لا أبناء لها أو أهل، وهذا سبب وجودها وحدها مع هذهِ العاملة وهي مريضة هكذا.

(العاملة ماري مرتبكة تبحثُ عن الأنبوبة في السّلة التي تحملها. العاملة ماري تُسقِط جميع محتويات السلة على الطاولة وتبحث مرتبكة عن أنبوبة الربو).

منيرة: (منفعلة صارخة) أسرعي. أسرعي. المرأة تختنق.

عبد السّلام: (منفعلًا): عمّ تبحث؟!

(المرأة المفرطة في السّمنة تشتدّ عليها الحالة وتصبح في وضع حرج. الطفلة منى تمسك بثوب والدتها خائفة وتغمض عينيها).

المُصوِّر خالد: (منفعلًا): يجب أن نفعل شيئًا. المرأة تموت أمامنا.

(العاملة ماري تخترق صفوف المتجمهرين).

منيرة: (صارخةً): إلى أين تذهبين؟!

عبد السّلام: (منفعلًا صارخًا): ارجعي.

محمود: (صارخًا): إنّها تهرب.

(ماري تبحثُ عن سراج وفرح في المقهى)

فرح: (مرتبكةً): أنا خائفة من الافتضاح، ماري قادمة نحونا يا سراج.

سراج: (متلعثمًا): ماذا تريد؟! ستفضحنا!!

فرح: (مرتبكة ومنفعلة): أسرع يا سراج، وأعطها أنبوبة الربو قبل أن يلاحظنا أحد.

(العاملة ماري تستمرُّ في التقدّم والاقتراب من سراج وفرح. سراج يسرع ويعطيها أنبوبة الربو ويبتعدُ عنها. ماري تأخذ منهُ الأنبوبة وتعود إلى مكانها. منيرة تخطفُ منها الأنبوبة وتقرِّبها من فم المرأة المختنقة. تتفحّص تنفس المرأة المفرطة في السمنة. تضع يدها على فمها مصدومة. تأخذ منها الأنبوبة وتحاول إنعاشها. منيرة تمنعها من مواصلة المحاولة).

منيرة: (متأثّرة): لا فائدة. لا فائدة. (تستدركُ وتخنقها الدموع والكلمات): لقد رحلت! ماتت! ماتت!

ماري: (باكيةً): ماذا تقولين؟ لا.

الرجل الملتحي: (متأثرًا): سبحانَ مَن لهُ الدوام!

(منيرة تحتضن طفلتها. ماري تجثو على ركبتي المرأة المفرطة في السمنة باكيةً. السائح الأجنبي ينهضُ من مكانه أخيرًا، ويضعُ حقيبته على ظهره ويقتربُ من مكان تجمُّعهم).

السائح الأجنبي: (منفعلًا): اللعنة.. هل أنتِ متأكدة؟ قد تحتاج نقلها إلى المستشفى.

عبد السّلام: (يقاطعُه): زوجتي ممرِّضة وتعرف ماذا تقول.

شهاب: ماذا حدث يا أبي؟

محمود: المرأة توفيّت يا بُنَيّ.

شهاب: (بحزن وألم): من لحظات قليلة كانت معنا والآن رحلت!

الرجل الملتحي: (بألم): هذهِ هي الحياة يا إخواني قصيرة، رغم حرصنا الشديد عليها، تزولُ في يوم واحد.

(العاملة ماري منهارة تبكي وتحضن المرأة المفرطة في السمنة).

فرح: (مُتوجّسة) ما بها ماري تبكي يا سراج؟!

سراج: لا أدري. علمي علمُك.

فرح: دعنا نقترب قليلًا.

الرجل الملتحي: (صارخًا) قطعة قماش حتى نغطيَّها.

(تقوم منيرة وتفتح حقيبتها على عجل وتُخرِج منها شالًا. منيرة تغطّي وجه المرأة بشال. الطفلة منى تمسك بيد أمها).

الطفلة منى: أمي! ما بها المرأة؟!

منيرة: (متأثرة): لقد توفيّت يا منى، توفيّت يا بنتي.

الطفلة منى: توفيّت! ومتى ستصحو يا أمي؟ أمّي أحضروا لها الطبيب يُعالجها!

عبد السّلام: (متأثّرًا): منى! الطبيب لا ينفعها الآن. لقد انتهت ساعتها، ورحلت.

(تقتربُ فرح وأخوها من المجتمعين).

فرح: (مستغربةً) لماذا تضعون الشّال على وجهها؟!

محمود: لقد فارقت الحياة.

فرح: (في قمة الانهيار صارخة بألم): ماذا تقول؟ لا. لا.

(يقتربُ منهم سراج منفعلًا).

سراج: (منهارًا صارخًا متألّمًا): لا، أنتم تكذبون. تكذبون إنّها نوبة ربو، وستصحو منها.

الرجل الملتحي: يجب أن أبلّغ أهلها بوفاتها.

(فرح منهارة تبكي وتنتحب، وتقترب من أمها باكية. سراج منهارًا يشارك أختهُ البكاء والنحيب. ماري تنظر إلى سراج وفرح وهما يجثمان عند جثمان والدتهما. السائح الأجنبي يعودُ إلى مكانه ويجلس بعيدًا عنهما).

المُصوِّر خالد: يجبُ نقلها من هنا حتى يحضر أهلها.

محمود: وإلى أين ننقلها؟

الرجل الملتحي: أرى أن نقوم بنقلها إلى حجرة بيع التذاكر حتى يحضر أحد من أهلها.

فرح: (تخنقها الدموع والكلمات): أمّي. أمّي سامحيني.

عبد السّلام: (مصدوم): أمّكِ؟! أنتِ ابنتها؟! ولماذا تركتِها وحدها مع العاملة. لماذا؟!

الرجل الملتحي: (تخنقهُ الكلمات منفعلًا): أنتِ ابنتها وتركتِها وحدها؟! إنها جنّتكِ ونارك.

فرح: (صارخةً ومنفعلة): لا تسألوني. لا دخلَ لكم بي. اتركوني لهمّي وألمي. اتركوني.

(تبكي فرح بألم).

الرجل الملتحي: (بثقة): أجزم أنّكِ لم تتذوّقي حلاوة الأمومة.

فرح: (صارخةً وفي قمة الانفعال): اتركني. اتركني. ابتعد عني.

(تقتربُ منها منيرة وتحاول تهدئتَها. فرح تشتعلُ انفعالًا وتنهارُ وتصرخُ).

فرح: (صارخةً منهارة): دعوني. دعونا. لا شأنَ لكم بنا. دعونا.

سراج: (تخنقه الكلمات والدموع متأثرًا): نعم هي أمّنا التي ضحّت ببهجة شبابها من أجلنا، ولم تتزوج من بعد وفاة والدنا، وربّتنا أحسن تربية. أمّنا التي لا نستحقُ شرف أمومتها.

(سراج منفعلًا يخبط رأسهُ بالحائط. عبد السّلام يقترب منهُ).

عبد السّلام: أريد أن أستوعب. أريد أن أفهم لماذا تركتموها مع العاملة؟! وأنتم هنا معها؟!

سراج: (تخنقهُ الكلمات متلعثمًا): سمنتُها، نحنُ. نحنُ نخجلُ من سمنتِها المفرطة، ونخاف من نظرات الناس وكلماتهم الجارحة لها.

(الملتحي يمسك رأسه غيرَ مصدّق ما يسمع. ويقوم ويقتربُ من سراج).

الرجل الملتحي: (صارخًا): يا الله! ماذا أسمع؟!! ماذا أسمع؟ إنه آخر الزمان. رحماك يا الله بنا!

سراج: (متأثرًا): سامحينا يا أمي! أخطأنا في حقِّكِ.

محمود: (متأثرًا): لا ينفع الندم الآن، رحمها الله، وصبّركم على فقدها.

(محمود ومعهُ شهاب يقتربان من سراج الباكي. الرجل الملتحي يقتربُ من سراج الذي ينفجرُ في موجة متواصلة من البكاء والنحيب. يضعُ يديهِ على كتفه ويهزّهُ بلطف. سراج يحاولُ مسح سيل الدموع المنهمر من عينيه. الرجل الملتحي يُجلِسُه. يقوم الرجل ويواسي سراج الغارق في حزنه وألمه الكبير. يقوم الجميع بنقل جثمان المرأة إلى حجرة بيع التذاكر. سراج جالس على الكرسي. ينهضُ السائح الأجنبي من مكانه. حقيبة ظهره الصغيرة يريحها على ظهره، ويقتربُ من سراج).

السائح الأجنبي: (متأثرًا): أنا آسفٌ جدًا على خسارتكَ.

(السائح الأجنبي يذهب ومعهُ سراج وينضمان إلى حجرة بيع التذاكر. لُبنى تدخل المقهى وتجلس في مكانها. تضع حقيبة يدها على الطاولة. تمسكها مرتبكة خائفة. يدخل جلال ومعهُ كيس بلاستيكي. لُبنى ترى جلال القادم ناحيتها. ترتبك وتضع حقيبة يدها أسفل الطاولة. جلال يضع الأكياس فوق الطاولة. يخرج محمود وشهاب وعبد السّلام من الحجرة. يخرجُ السائح الأجنبي من حجرة بيع التذاكر من دون حقيبة الظّهر. يغادرُ المقهى متسلّلًا. يدخل العمّ ألماس مسرعًا ويصطدم بالسائح الأجنبي عند مدخل المقهى. يواصل خروجَهُ المضطرب من المقهى مسرعًا. يدخل العمّ ألماس المقهى لاهثًا.. ونسمعُ صهيل سيّارة الإسعاف من بعيد).

العمّ ألماس: (لاهثًا): إنّها حافلة الإسعاف الخاصة بالصيدلية سيقومون بنقلها إلى المستشفى.

عبد السّلام: (بألم): المرأة توفيّت.

العمّ ألماس: ماذا؟ توفيّت؟! إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

(يخرج سراج وماري وفرح وهم يدفعون جثمان والدتهم على الكرسي المتحّرك. يرافقهم المُصوِّر خالد وهو يلتقط المزيد من الصور ويخرج معهم من المشهد. تخرج منيرة من حجرة بيع التذاكر وهي تمسك ابنتها.

يقتربُ جلال منهم وينضمّ إليهم ويساعدهم. لُبنى بحركة سريعة مرتبكة، تُخرِج زجاجة من حقيبة يدها. تلتفت يمينًا وشمالًا خائفة ومرتبكة. تضع من محتوى الزجاجة في الطعام. ترُجِع الزجاجة إلى حقيبتها. تُرتّب الطعام على

الطاولة. جثمان المرأة في وسط المكان وحولها الجميع. يقتربُ الرجل الملتحي من سراج).

الرجل الملتحي: (متأثرًا): أخي الجميع يخطئ، تقرّبْ من ربّك، فهو عفوٌ كريم يُسامح عبادهُ.

(سراج يمسحُ دموعَه ويمضي خارجًا من المشهد هو وأخته والعاملة والجثمان. جلال يعودُ ويجلسُ عند لُبنى. العمّ ألماس يعود إلى حجرة بيع التذاكر).

جلال: (متأثّراً) رحمها الله. لقد ارتاحت من ألم الدنيا وتعبها.

لُبنى: (تُخفي ارتباكها): رحمها الله وغفر لها.

(جلال يقرّبُ صحن الطعام من لُبنى. يقومُ ويُخرِجُ وردة بيضاء اللون ويقدّمها لها).

لُبنى: (متفاجئةً) بيضاء!!

جلال: (باسمًا): لون الثقة يا لُبنى.

لُبنى: الثقة!!

جلال: نعم لون الثقة والايمان يا لبُنى.هيّا يا حبيبتي تناولي شئيًا قبل أن تأتي الحافلة.

لُبنى: (تخنقها الكلمات وتبلعُ ريقها بصعوبة كبيرة): يُؤلم الخذلان كثيرًا يا جلال، ويغرسُ سكّين الألم في القلب.

جلال: (يقاطعها): أحيانًا كثيرة قد نُخطئ دون أن نعلم بحدوث الخطأ.

لُبنى: (تقاطعُه بانفعال): هذا الكلام رمادي ومُبهم يا جلال.

جلال: لُبنى نحنُ بشر، قُدِّر علينا الخطأ، وبإمكاننا الصّفح والغفران أيضًا.

لُبنى: (بمرارة): ونفس البشر بإمكانهم الانتقام أيضًا يا عزيزي.

جلال: ما هذهِ النبرة الغريبة؟! ألن تأكلي؟! هيّا أسرعي قد تأتي الحافلة في أيّ وقت.

لُبنى: (مرتبكةً ومتلعثمة): لا أريد كُلْ أنتَ يا عزيزي.

(جلال يهزُّ كتفيه. يبعدُ الصحن بيدهِ بعيدًا. لُبنى تنظرُ إلى جلال مستغربةً وهو يمدّ يده إلى كوب العصير، وتنظرُ إلى طبق الفطائر أمامها مرتبكة وحائرة. جلال ينظرُ في عيني لُبنى).

جلال: إذا لم تأكلي فلن آكل.

(لُبنى تنتفضُ خائفةً مرعوبة بشدة من حركته المفاجئة. يترك كوب العصير جانبًا).

لُبنى: (مرتبكةً وخائفة متلعثمة): آكل معكَ. لا. لا أريد. كُلْ أنت يا حبيبي. أنا لا أشتهي. كلْ. صحتين على قلبكَ يا حبيبي.

(جلال يعودُ ويتناول كوب العصير. جلال يرتشف منهُ رشفتين. تنصدم لُبنى من ردة فعله. تُقرّب الصحن منهُ مرة

ثانيـة، وتحـاول إخفـاء ارتباكهـا عنـه. تعـودُ في هـذه اللحظـة الأغنيـة (أقبـل الليـلُ) للسّـطوع والتـوهج مـن جديـد وتبقـى حاضرة).

جلال: (باسمًا) سأكتفي بالعصير.

لُبنى: وكلّ هذا الأكل يا حبيبي ماذا سنفعلُ به؟!

جلال: لن أتناول منهُ شيئًا إن لم تأكُلي معي، هـذا آخر كلامي. لُبنى حبيبتي تناولُ الطعام معكِ له مذاقٌ ورائحة مختلفة.

لُبنى: (وكأنها تحدّثُ نفسها): لن تأكُـل إلّا إذا أكلتُ أنـا. حسنًا يـا حبيبي، سوف آكُل!

(لُبنى تقومُ وتمدّ يدها المرتعشة إلى الطعام بطريقة آلية. وتأخذ فطيـرة بـين يـديها المرتعشتين. لُبنى تقرّب الفطيرة المسمومة من فمها. تغمض عينيها. تتنـاول مـن الطعـام المسـموم والـدموع تتـراقص في عينيهـا. تحـاول بلـع الطعـام المسـموم بصعوبة شديدة. ترشفُ من العصير حتى تبلـع الطعـام الواقـف في بوابـة حلقهـا. جلال ينظرُ إليها باسمًا، ثم يشـاركها تنـاول الطعـام بفـرح وسـعادة. لُبنى تحـاول إخفاء خوفهـا وارتباكهـا عنـه. جـلال يقـدّم لهـا الفطيـرة بيديـهِ ويطعمهـا بنفسـه. تقضمُ من الفطيرة وتلتهمها وتحشرها في كهـف فمِهـا رغمًـا عنهـا. ترتشـف مـن عصيرها لتبلعَ الفطيرة المحشورة في بوابة حنجرتهـا. تغمـض عينيهـا وهـي تبلـع الفطيرة. جلال ينظرُ إليهـا ويبتسـمُ ويلـتهم معهـا قطـع الفطيـرة. محمـود باسـمًا ينظرُ إلى شهاب. ويستمرُ السطوعُ الصوتي للأغنية (أقبل الليل).

محمود: شهاب بُنَيّ! أتريد شيئًا؟

شهاب: لا يا أبي. شكرًا. أبي، أنا أُحبّك كثيرًا.

محمود: (متأثّرًا): وأنا كذلك يا بُنَيّ تعالَ نجلس حتى تأتي الحافلة.

(محمود يمسحُ بيده على رأس شهاب. يجلسان بالقرب من الرجل الملتحي).

محمود: (متأثّرًا): المساكين سيبقون لفترة طويلة يُعانون ممّا حدث ويتألمون.

(فترة صمت).

عبد السّلام: (متأثرًا وبحزم كبير): منيرة اسمعيني جيّدًا.

منيرة: (تقاطعه منفعلةً): ماذا تريدُ أن تقول؟!

عبد السّلام: (بحزم وثبات): منيرة. أمّي لن أخذلها أبدًا، وأكون السبب في حزنها وألمها وقهرها وهي حيّة. وهي من وهبتني زهرة أيامها ورحيق شبابها، لن أخذلها. أتسمعين؟ لن أخذلها، ولن أسمح لدموع الألم والخذلان أن تخدش خدودها النديّة، وقلبها الرقيق الطاهر. وحتى لو كان الثمنُ هو في انفصالنا يا منيرة. أتسمعين؟

(الطفلة منى تواصل لعبها مع الدمية وتراقب حوار والديها خائفة حائرة. منيرة مصدومة ممّا تسمع. تضع يدها على فمها. الطفلة منى حائرة بينهما. تمسك دميتها وتضمّها بقوة وتحتمي بها، وتضع يديها على أذن الدمية الكبيرة حتى

تسمع صراخ والديها. عبد السّلام يرشق منيرة بنظرات ساخرة. تنخفض وتيرة سطوع وتوهج الأغنية وتكاد تتلاشى).

عبد السّلام: (ساخرًا): مُنيرة أنتِ كعادتكِ دائمًا، لن تتغيري أبدًا.

عبد السّلام يخُطو مبتعدًا عنهما. ويهمُّ بالذهاب، ولكنّهُ يعودُ ويقتربُ من منيرة.

عبد السّلام: (يستدرك حديثه): منيرة اذهبي إلى أهلك، وفكري جيّدًا وقرري ماذا تريدين، مع السلامة. سأذهب لا أريدُ أن أتأخّر. أمي وحدها في المنزل كما تعلمين.

(عبد السّلام يقتربُ من منى، ويجلسُ على ركبتيه ويطبعُ قبلةً كبيرةً على جبين ابنته).

عبد السّلام: مع السلامة يا حبيبتي.

الطفلة منى: (تخنقها الدموع والكلمات): مع السلامة يا أبي. مع السلامة.

(عبد السّلام يُخرِجُ مظروفًا ويعطيهِ لمنيرة).

عبد السّلام: هذا مصروفكم، ولو احتجتِ كلّميني. مع السلامة. أنا ذاهب.

(منيرة تمسك المظروف. عبد السّلام يرفع يده مودّعًا. الطفلة تهرع وترتمي في حضن والدتها منيرة متأفّفة ومتضايقة. عبد السّلام يمسك بوجه طفلته بين كفّيه، ويمسح دموعها بيدهِ).

عبد السّلام: عودي لوالدتك يا منى يا حبيبتي. كلّها أيام قليلة ونجتمع.

الطفلة منى: (تخنقها الكلمات) قلْ لها: أيام قليلة ونعود إليها، وقلْ لها أن تُحضِّر لي القصص التي وعدتني أن تحكيها لي.

عبد السّلام: حسنًا سأخبرها، مع السلامة يا منى. هيّا عودي إلى والدتك. هيّا يا بنتي.

(تعودُ الطفلة منى إلى أمّها. عبد السّلام ينظر إلى الطفلة منى ومنيرة مُودِّعًا، ثمّ يُغادرُ المقهى مسرعًا. منيرة تمسك طفلتها وتُجلِسها. لُبنى وجلال مستمرّان في تناول الطعام. محمود ينادي الطفل نهار فيقتربُ. يغادرهم الرجل الملتحي وهو يواصل التسبيح. الطفل نهار يحضر كوبَي شاي لمحمود وولده. يدخل المُصوِّر خالد إلى المقهى. يجلسُ بالقرب من العمّ منصور. يقترب الطفل نهار من طاولة جدّه وخالد ويرى آلة التصوير. يأخذها من فوق الطاولة).

الطفل نهار: أهي لك؟ (يستدركُ باسمًا) أأنت مصّور؟!

(خالد يهز رأسه باسمًا).

الطفل نهار: عندما أكبر أريدُ أن أصبحَ مُصوِّرًا أو صحفيًّا مشهورًا، أنا أعشقُ التصويرَ والتقاط الصورِ.

(الطفلُ نهار يقلِّبُ الكاميرا بين يديه منبهرًا وغير مصدّق).

الطفل نهار: (يستدركُ حالمًا) أتمنّى أن يأتي اليوم الذي أمتلكُ فيه كاميرتي الخاصّة بي. فأنا مُصوِّر في جماعة الصحافة المدرسية، والأستاذ المشرف يعتمدُ عليّ في التقاط الصور دائمًا في كلّ الفعاليات التي تُقام في المدرسة وخارجها.

(خالد يضع يده على رأس نهار. العمّ منصور يبتسم له).

المُصوِّر خالد: (باسمًا) إن شاء الله يا نهار، إن شاء الله تعالى تتحقّقُ كُلّ أحلامكَ وأمانيك.

(أحدهم يصفّق وينادي نهار).

الطفل نهار: (باسمًا): عن إذنكم.

(ينصرفُ نهار ويتّجه إلى إحدى الطاولات).

العمّ منصور: (ينظر إلى ساعة يده وكأنّهُ يحدّث نفسهُ): كُلّها بالكثير عشرون دقيقة وينهي عملَه، ونغادرُ معًا إلى البيت، ونهار يعمل كذلك في مطعم الفطائر المجاور، ويُوصِلُ الطلبات إلى المنازل القريبة.

(يتثاءب العمّ منصور. نهار يقف عند إحدى الطاولات يمسحها وينظّفها. منيرة وطفلتها تجلسان. جلال ولُبنى يتناولان الطعام بهدوء. الرجل الملتحي يسبّح بمسبحته. ألماس واقف في نافذة بيع التذاكر وفي يدهِ حقيبة الظهر الخاصّة بالسائح الأجنبي والكرة الملوّنة).

العمّ ألماس: (ينادي) يا نهار. يا نهار. يا نهار!

(يقتربُ منهُ الطفل نهار على عجل).

العمّ ألماس: نهار ! هذهِ كرةُ الأطفال أعطها لهم. على فكرة وجدتُ هذهِ الحقيبة في الداخل. أتعرف صاحبها يا نهار؟

نهار: أظنّ أنّها تشبهُ الحقيبة التي كانت مع السائح.

العمّ ألماس: نعم. السائح أتذكّرهُ، نعم. هي لهُ بكلّ تأكيد، ولكنّي لا أراهُ هنا. غريب والحافلة لم تأتِ بعد، المهم يا نهار. لو رأيتَهُ أخبرني كي أعيدَ لهُ حقيبته.

الطفل نهار: حسنًا يا عمّ ألماس. حسنًا.

(ينصرفُ الطفل نهار إلى عمله في المقهى. المُصوِّر خالد ينظر إلى ساعة يدهِ).

المُصوِّر خالد: أستأذنكَ يا عمّ منصور. هذا موعد وصول حافلتي.

العمّ منصور: أتذهب إلى المدينة الليلة؟

المُصوِّر خالد: نعم يا عمّ. سأذهب إلى المدينة أُطاردُ حلمي، عسى أن أجد ما أبحثُ عنهُ هناك في صخبِ المدينة وضجيجها الذي لا يهدأ.

العمّ منصور: (باسمًا): وفّقك الله يا بُنَيّ، ونحن كذلك ننتظر قليلًا، وينهي نهار عمله وننصرف.

(المُصوِّر يأخذ الكاميرا ويضعها حول رقبته. خالد يبتسم للعمّ منصور ويهمُّ بالانصراف، ولكنّهُ يعود أدراجَهُ، ويقترب من منصور).

المُصوِّر خالد: يا عمّ، أخبرْ نهار، عندما أعودُ من المدينة: سأهديه آلة تصوير قديمة لديّ.

(منصور يمسحُ دمعة فرّت من عينيهِ. خالد ينظر إلى العمّ متأثّرًا. المُصوِّر يربّت على كتف منصور باسمًا).

العمّ منصور: (مبتسمًا): سيفرحُ حفيدي كثيرًا بسماع هذا الخبر، أحسنتَ يا بُنَيّ. أحسنت.

المُصوِّر خالد: (تلتهمُ الابتسامة وجهه): إذًا، إلى اللقاء قريبًا يا عمّ، مع السلامة. أراكم على خير.

(نهار وفي يدهِ صينيّة يقتربُ من جدّه وخالد. يضع الصينيّة على الطاولة. العمّ منصور يهمس لنهار الذي يسرع ويقتربُ من خالد فرحًا ومنفعلًا).

الطفل نهار: (في قمّة الفرح): أصحيح ستهديني آلة تصوير؟!

المُصوِّر خالد: (ضاحكًا) نهار. إنّها كاميرا قديمة بعض الشيء، ولكنّها قد تكون فرصة لك كي تتعلّم عليها بعض أُسس التصوير وفنونه.

(الطفلُ نهار فرِح، يمسح دموعَه بكُمّ قميصهِ. ينظرُ إليه المُصوِّر خالد متأثّرًا).

الطفل نهار: (فرِحًا): أشكرك.

(خالد ينزعُ الكاميرا من حول عنقهِ).

المُصوِّر خالد: (باسمًا) دعوني آخذ لكما صورة للذكرى.

(الجد منصور يضع رِجلاً على رجل استعدادًا للتصوير. تسقط فردة حذاء الجدّ على الأرض. الطفل نهار يُسرع ويُلبِسُ جدّه فردة الحذاء باسمًا، والجدّ منصور يضع يدهُ على رأس حفيدهِ باسمًا. نهار وبسرعة يعدّل من وضع هندامه، ويمسحُ بيدهِ على شعره الطويل الناعم. الجدّ يتبادل النظرات مع خالد ضاحكًا. نهار يسرع ويجلس بجانب الجّد المبتسم. هو وجدّه ملتصقان على

الكرسي ومبتسمان للكاميرا. المُصوِّر خالد يقتربُ منهما ويضع بعض اللمسات على وضعية جلوس الجدّ والحفيد أمام عين الكاميرا).

المُصوِّر خالد: (ضاحكًا): استعداد. ثبات. ابتسامة. أصوّر.

(الطفل نهار وجدّه يهزّان رأسيهما مبتسمين. المُصوِّر خالد يرفع يده. الجدّ والحفيد عيونهما شاخصة للعدسة. خالد يأخذ لهما صورة. يغمرُ نور الفلاش وجه الجدّ والحفيد وهما بثبات في مكانهما. خالد يقترب منهما ضاحكًا).

المُصوِّر خالد: (ضاحكًا): انتهى التصوير. يمكنكم التنفّس.

(الطفل والجّد في قمة السعادة والفرح).

المُصوِّر خالد: (ضاحكًا): في أقرب فرصة سأحضر الصورة مع آلة التصوير طبعًا، مع السلامة أراكم قريبًا).

(نهار باسمًا يلوّحُ بيدهِ للمُصوِّر).

الطفل نهار: (صارخًا بفرح): مع السلامة سأكونُ في انتظارك. لا تنسَ الكاميرا.

المُصوِّر خالد: (من بعيد صارخًا): لا لن أنساها. مع السلامة.

(يغادرُ المُصوِّر خالد المقهى. ويأخذ نهار الصينيّة من فوق الطاولة. نهار ينزع عنهُ مريلته).

الطفل نهار: حالًا آتيك يا جدّي، سآخذ هذهِ الطلبيّة إلى المنزل المجاور للمقهى، وآتيكَ حالًا.

العمّ منصور: أي طلبيّة يا نهار؟! المقهى لا يقدّم سوى الماء والشاي والقهوة والعصائر!

الطفل نهار: (باسمًا): إنّها من مطعم الفطائر يا جدّي! لقد أخبرتك. أقوم بتوصيل الطلبات.

العمّ منصور: (باسمًا): حسنًا يا بُنَيّ. ستجدني في انتظارك، إلى أين سأذهب من دونك؟

(نهار يأخذ الطلبيّة ويغادر المشهد مسرعًا. يدخلُ عامل صيانة ماكينة بيع التذاكر الجديدة المقهى. يتفّحص الماكينة بعناية. العمّ ألماس ينظر إليه بخوف وقلق. وتستمرُّ الفرقة الموسيقية في عزفها الاحتفالي الصاخب).

العمّ ألماس: (يحدّثُ نفسَه خائفًا): آه، يا للألم!

(الجميعُ يصطفّ فيما يشبهُ الاحتفال. يدخل آخرون إلى موقع الاحتفالية ترافقهم فرقة موسيقية. يقومُ عامل الصيانة ويضع بعض الزينة والأشرطة المُلوَّنة، وبعض الشموع الاصطناعية المتوهّجة حول الماكينة المُحتَفَى بها. يستمرُّ صهيلُ المعزوفة الموسيقية. ينضمُ بعض كبار السنّ الموجودين في المقهى إلى الاحتفالية. الطفلة منى ووالدتها ينضمان إلى الاحتفالية. محمود يمُسِك بشهاب ويشاركان فيها. لُبنى وجلال لا يغادران مكانهما. العمّ منصور جالسًا في مكانه يشاهد الاحتفالية. عامل الصيانة يقترب من العمّ ألماس. الرجل الملتحي جالسًا في مكانه ينظر إليهم).

عامل الصيانة: (مرتبكًا ومتلعثمًا): نعتذر منك بشدّة سيدي، نريد المفاتيح.

العمّ ألماس: (في قمّة الذّعر): هل.. هل.. تقصد؟

عامل الصيانة: (يقاطعهُ): نعم. الليلة هي الأخيرة لكَ هنا في العمل، ومن الغد ستباشر الماكينة عملها. المفاتيح لو سمحت.

العمّ ألماس: (وكأنّهُ يهذي): الكلمة تُؤلمنا.

عامل الصيانة: كلمة. أي كلمة؟ لا أفهمكَ؟! أسألك عن مفاتيح حجرة بيع التذاكر حتى نغلقها نهائيًّا.

العمّ ألماس: (متأثّرًا ومنفعلًا) إنها معي. المفاتيح معي، انتظرْ قليلًا سأحضرها لك. (وفي هذهِ اللحظة يدخل مدير المحطة. تنتشر موجة تصفيق صاخبة لدخوله).

عامل الصيانة: (مرتبكًا): دعِ المفاتيح الآن، وتعالَ شاركْنا الاحتفالية، مديرُ المحطة حضر.

(مجموعة من المُصوِّرين يرافقون مدير المحطة. الفرقة الموسيقية تحتفي بدخول المدير ومَن معه. تسطُع فلاشات الكاميرات من كلّ مكان. العمّ ألماس يخرج من حجرته وبيده المفاتيح. تدخل طفلة صغيرة تحمل صحنًا عليهِ مقصٌّ ذهبي اللون. العمّ ألماس جالسًا لا يصدّق ما يرى. مدير المحطة يقوم بقصّ الشريط آذنًا بتشغيل الماكينة التي تضيء وتتلألأ. الفرقة الموسيقية مستمرّة في عملها وصهيلها الهادر. أحدهم يقوم ويوزّع على المحتفلين كعكًا في صحون من البلاستيك الملوّنة. الرجل الملتحي يرفضُ تناول الكعك والمشاركة معهم في هذه الفوضى الاحتفالية الصاخبة. الجميع يحتفل بالماكينة

الجديدة. أحدهم يحضرُ طبقًا للعم منصور. العمّ ألماس تنهمرُ الدموع على وجنتيه).

العمّ ألماس: (يحدّثهم صارخًا ومنفعلًا): كعك وشموع!

(عامل الصيانة يسرع إلى مدير المحطة ويهمس لهُ. العمّ ألماس يخترقهم ويبعثرُ المحتفلين، ويحاول الوصول إليه. صراخه الموجِع وهو يحاول بكلّ الطرق الوصول إلى مكان وجود مدير المحطة، لكنّه لا يستطيعُ الوصول إليه).

العمّ ألماس: (في قمّة انفعاله): لا أدري لمَ تريدون إشعال هذه وإضاءتها هذهِ الليلة؟! لماذا؟!

(يواصل العمّ ألماس طريقه نحو مدير المحطة المرتبك. بعض المرافقين له يمنعونهُ من التقدّم والوصول إلى المدير. العمّ ألماس يجثُو على ركبتيهِ منفعلًا. المدير يعطي عامل الصيانة مظروفًا ويهمس لهُ. عامل الصيانة يقترب من العمّ ألماس، ويمدّ لهُ يده ويعطيه المظروف. العمّ ألماس يقلّبُه بين يديه).

العمّ ألماس: (منفعلًا): هذا لي؟! نظيُر ماذا؟! بهذهِ البساطة؟! وكأنّكم تعبرون حفرة ما في الشارع؟!

(عامل الصيانة يصفّق بيده للعمّ ألماس. تنتقلُ عدوى التصفيق للحضور. الجميع يهنّئه ويصافحهُ على خطبتهِ. العمّ ألماس يصافحهُم وهو في حيرة، ويتجاهلهم ويتّجهُ ناحية حجرة بيع التذاكر. يتأمّل ويتحسّس جوانب نافذة حجرتها، ويحاول مسح غيث الدموعِ المنهمر من غيوم عينيه. الرجل الملتحي ينظرُ إلى العمّ ألماس متأثّرًا. مديرُ المحطة يهمسُ لعامل الصيانة، فيقترب من

ألماس. ويمدّ يده باسمًا. ألماس يجرّ رِجليه، ويقوم بإغلاق حجرة بيع التذاكر، ويناول عامل الصيانة المفاتيح. تصهلُ الموسيقى المنبعثة من الفرقة الموسيقية من جديد. الجميع يحتفلون بالماكينة الجديدة. عامل الصيانة يطلب من ألماس الوقوف والتقدّم لاستلام هدية نهاية الخدمة من المدير. ثمّ يدفع بالعمّ ألماس حتى يتقدّم لاستلام الهدية المُغلَّفة بورق مُزركَش وأشرطة مُلوَّنة برّاقة. ألماس يتقدّم مُتردّدًا من المدير الذي يعرض نفسَه لفلاشات عدسات التصوير ضاحكًا، وفي يدِهِ الهدية. الجميع يصفّق له وهو يأخذ الهدية من المدير. المُصوِّرون يلتقطون صورة تذكارية له مع مدير المحطة والهدية معه. الفلاشات تسطعُ من كلّ مكان. عامل الصيانة يبعِدُ ألماس عن مدير المحطة. العمّ ألماس يطالع الهدية حائرًا. ترتفعُ صيحات المجتمعين مطالبين ألماس بفتح الهدية).

صيحات المجتمعين: (معًا وبشكل فوضوي) افتح الهدية. دعنا نرى الهدية. أسرع. لن نغادر قبل أن نرى الهدية.هيّا أسرع يا رجل. (عامل الصيانة يقومُ ويساعدهُ، وينزعُ الأشرطة الزاهية والورق الملوّن والمصقول عن الهدية. جميع الحضور عيونهم على ألماس. تسقط الهدية منهُ. يسرعُ ويلتقطها، ويُكمِل نزع ما عليها من أشرطة. أحد المُصوِّرين الموجودين يلتقط لهُ صورة. يتفاجأ ألماس

بالهدية وهي مُجسَّم مُصَغَّر مُضاء للماكينة الجديدة المُحتفى بها.. يقترب منهُ عامل الصيانة).

عامل الصيانة: (هامسًا): انسَ وعشْ حياتَك. واترُك عنكَ اجترار الماضي.

(ألماس يقتربُ من عامل الصيانة. منيرة تبحثُ عن طفلتها بين الجموع).

العمّ ألماس: (في قمة الألم): أنتم لا تستوعبون، ألمي لا شفاء منهُ. وذكرياتي أصبحتَ كسكّين تجرحني وتُؤلمني.

(تشتدّ موجة التصفيق والتهليل بين المجتمعين، وتمتزج بصهيل الموسيقى الاحتفالية الصاخبة. تعودُ فلاشات المُصوِّرين للسطوع والتوهّج. يرتفعُ صهيل الفرقة الموسيقية من جديد. مدير المحطة يقف مع الحضور ويأخذ صورًا تذكارية مع الماكينة الجديدة. الجميع منشغل مع المدير وفلاشات التصوير. العمّ ألماس يبتعدُ مترنِّحًا يعتصرهُ الخذلان والألم. ينظر إلى مجسّم الماكينة الذي معه. يرمي الهديّة (المُجسّم)، ويكادُ يقعُ من طولهِ. الرجل الملتحي ينهضُ من مكانِه، ويمسكُ بالعمّ ألماس ويساعدُه. يمسحُ نهرَ دموعه، وينظرإلى الرجل الملتحي ويحاولُ الابتسام، يقوم ويدخل إلى غرفة التذاكر. يعودُ الرجل الملتحي ويرجعُ إلى مكانهِ. الطفلة منى تأخذ الشرائط المُلوَّنة التي كانت تغلّفُ الهدية، وتزيّن بها شعر دميتها. الطفلة منى تفلتُ يد والدتها. منيرة ترى طفلتها منى تقترب منها).

منيرة: لا تبرحي مكانك. العبي هنا.

الطفلة منى: (باسمةً): حسنًا يا أمي.

(يستمر الحضور بالاحتفال وتناول الكعك على أنغام موسيقى الفرقة العازفة. تعودُ منيرة وتنضمّ إلى الاحتفالية. الطفلة منى تواصل لعبها مع دميتها. جلال يمسك بطنه بألم فجأة).

جلال: (متألمًا): يا للألم! أي. أي بطني، ألمٌ شديدٌ!

لُبنى: (ساخرة) تتألم. هذا مؤلم أعرف، جلال.. كم يختلفُ الألمُ الذي يجمعنا!

(جلال يحاول النهوض ولا يستطيع).

جلال: (متألمًا خائفًا): لُبنى، ساعديني، أشعرُ بألم شديد. سكاكين تقطّعُ أمعائي وتمزّقها، لا أدري ماذا يحصل لي؟ آه يا للألم! ألم لا يُطاق. ألم يُفقِدني صوابي.

(جلال يشعرُ بالغثيان ويحاول التقيّؤ دون جدوى. ينزفُ جبينُه عرقًا. لُبنى منهمكة في تقليب الفطائر بالملعقة التي معها من دون أن تلتفت إليه. تقتربُ من جلال وتمشي بطريقة مسرحية استعراضية. تنظرُ إليه وتنفجرُ ضاحكةً. تخفي وجهها خلف راحة يديها. جلال يحاولُ النهوض من وقعتهِ دون جدوى. الألم يمنعه من ذلك. الجميع منشغل عنه مع صخب الاحتفالية).

جلال: (مذعورًا): ماذا وضعت في الفطائر؟!

(فترة صمت، وبعدها تنفجر ضاحكةً)

لُبنى: (تخنقها الضحكة): مُجرّد سمّ، لا أكثر.

جلال: (في قمّة الخوف): ماذا؟! سّم؟ لماذا السّم؟!

جلال: (يتألمُ وينتحبُ): ولكنّي أعشقكِ.

لُبنى: (تضحكُ ساخرة): ماذا؟ ماذا؟ أسمِعْني مرةً أخرى تعشقُني، هاا!

جلال: (متوسّلًا) ماذا فعلتُ؟!

لُبنى: (في قمّة السخرية): حاشاكَ، لم تفعل شيئًا، غدرتَ بي فقط.

(جلال يتلوّى ألمًا وهو ينكمشُ على الأرض. لُبنى تقترب منهُ بدورها. تُدخِلُ يدها في جيبِهِ وتخرج هاتفهُ. لُبنى تهزّ الهاتف في الهواء).

لُبنى: (تضحكُ): الحبيب فضحكَ ووشى بكَ، وأخبرني بكلّ شيء.

(لُبنى ترسم بسمة على وجهها. وترمي في وجهِه بالهاتف. وتحضر كرسيًّا وتجلس عليه، وتضع رِجلًا على رجل وتضع عيونها في عيون جلال المتألّم. في حين يستمرُّ الاحتفال بعيدًا عنهم).

لُبنى: (ساخرةً) جلال. للأسف لن تستطيع الحضور يوم الخميس للخطوبة يا عريس.

جلال: (يخنقهُ الألم): إنكِ لم تفهمي، دعيني أشرح لكِ. يا مجنونة.

(تلتفتُ يمينًا وشمالًا. الجميع بالمحّطة منشغلون بالاحتفالية وصخبها. تضع يديها على فمهِ).

لُبنى: (تقاطعهُ منفعلة): هذا يؤلمني أكثر مما يؤلمك، ولا نَفَس، لا أريدُ سماعَك. اسكت.

لُبنى: (تزاحمها الضحكة الهستيرية) الأغنية! أتريد أن تسمعها لآخر مرّة في حياتك؟

(لُبنى تغنّي بعض المقاطع من الأغنية وهي ترقصُ).

لُبنى: (تغنّي باكيةً): أقبل الليل يا حبيبي... أقبل الليل وناداني حنيني. يا حبيبي.. وسرَت ذكراك طيفًا... هامَ في بحر ظنوني.. ينشر الماضي ظلالًا... كُنّ أُنسًا وجمالًا... فإذا قلبي يشتاقُ إلى عهد شجوني... وإذا دمعي ينهلُّ على رجع أنيني... يا هدى الحيران في ليل الضّنى... أين أنت الآن؟ بل أين أنا؟!

(لُبنى تتوقّف عن الغناء والرقص وتنفجر باكية، جلال يُحاول المقاومة. يريد أن يُحدّثها يزحف ويحاول الاقتراب منها، يمسك يدها. لُبنى تبعِدُ يدَها عنهُ وهي تشعرُ بالاشمئزاز. تسرعُ وتُخرِجُ مُعطّرًا من حقيبة يدها الصغيرة وترشُّ منها على يديها).

لُبنى: (غاضبة منفعلة): رائحةُ خيانتكَ تؤلمني، انظر إليّ.

جلال: (متلعثمًا متألمًا): إنّي أتألّم. لُبنى. لُبنى.

لُبنى: (ساخرة ومنفعلة): لن تشعرَ بأيّ شيء بعد، اصبرْ للحظات وينتهي كلّ شيء كما بدأ.

جلال: (يقاطعها وهو في وادي الألم): ولماذا كلّ هذا الغضب دعيني أشرح لكِ؟!

لُبنى: (تقاطعهُ): غضبي لن أستطيع إخفاءه.

(لُبنى تغمضُ عينيها، وتواصل الضغط على أنفاس جلال بكلّ قوتها وعزمها. جلال يُحاول المقاومة ويرفع يده إلى وجه لُبنى. لُبنى وبحركة سريعة تبعدُ يدهُ

عن وجهها. تبتعد عنهُ خائفةً. جلال يتحامل على نفسه ويقف، ويسحب نفسه إلى الكرسي القريب ويجلس عليه).

جلال: (متألمًا): يا مجنونة كدتِ تقتليني. اطلبي لي الطبيب حالًا، أنا أمُوت يا لُبنى.

(جلال ينتفض بشدّة ويرتعدُ ويتشنجُّ ويُزبِد. تتوقّف حركتهُ ويسكن تمامًا. لُبنى تنظر إلى جلال بعيون باكية. وبيد مرتعشة خائفة تضع يدها على مكان قلبِه. تنتابها حالة انهيار شديدة، وتبكي بعنف وألم، وهي تضمّ ذراعيها حول بطنها، كما لو كانت تحاول أن تحمي شيئًا ما. لُبنى تلتفّ يمينًا وشمالًا وتنهض من مكانها وتقوم بعد ذلك، وتعدِّلُ من جلسة جلال على الكرسي. اصطدمت يدها بشيء صلب في جيب سترة ملابسه، تناولتهُ ورفعتهُ وفتحت العلبة الصغيرة. نظرت إلى عيني جلال المغمضتين وسألته وهي تعلمُ أنهُ لن يجيب).

لُبنى: (في قمّة غضبها): أهذا خاتم خطوبتك أيها الخائن؟

(لُبنى تهمّ بوضع الخاتم في إصبعها، ولكنّها تنزعهُ. ثم تضعه في حقيبة يدها، وتعيدُ هاتف جلال وتضعهُ في جيب سترته. وتبتعدُ عن مكان جلوسهِ، وتقوم وتنضمّ إلى الحشد المحتفل. العمّ ألماس يخرج من غرفة بيع التذاكر ويبحث عن عامل الصيانة بين المحتفلين. يقترب منه ويخرِجهُ من دائرة المحتفلين).

العمّ ألماس: الحقيبة. الحقيبة توجد حقيبة في حجرة بيع التذاكر لأحد المسافرين.

(عامل الصيانة يقتربُ من العمّ ألماس)

عامل الصيانة: (دون اهتمام يقاطعه): عن أيّ حقيبة تتكلم. اذهب لا شأن لكَ بالحجرة وما فيها من الليلة. اذهب لحال سبيلك. المفاتيح أين؟!

(ألماس ينظر إلى العامل).

العمّ ألماس: (غاضبًا): الحقيبة في عُهدتي، ويجب أن أعيدها إلى صاحبها.

(لُبنى تمسِك بطنها متألّمة. العمّ ألماس يقترب من حجرة بيع التذاكر ويحاول فتحها بالقوّة. حُرّاس المدير يقومون، ويبعدون العمّ ألماس عن الحجرة بالقوّة).

العمّ ألماس: (صارخًا) اتركوني. الحقيبة. حقيبة الرجل في عُهدتي.

(المدير يطلب منهم إخراجه من المكان. حرّاس المدير يحاصرون ألماس الذي يقاومهم ويرفض المغادرة. حرّاس المدير يحكمون سيطرتهم عليه. يتمّ إخراج ألماس من المحطة بالقوّة. تعودُ الفرقة الموسيقية إلى العزف والاحتفال من جديد. يشارك كلّ الموجودين في الاحتفالية. يقفُ مدير المحطة ويده على الماكينة الجديدة المحتفى بها فرحًا وبزهو كبير. وفي هذهِ اللحظة تهتزُّ الأرض اهتزازًا أشدّ من زلزال. ويصعقنا صوت انفجار مدوٍّ في المقهى. ويغرقُ في ظلام دامس. يتصاعدُ صوت الصراخ، وتتفشّى الصدمة. وتنتشر ألسنة الدخان الكثيف في كلّ مكان. موسيقى صاخبة ومناسبة للحدث. وتعمُّ الفوضى العارمة المكان. أنين وصراخ مرعب. وميض مرتعش. إظلام تام).

الفصل الأول

المشهد الثاني

(الوقت: ليلًا بعد حدوث الانفجار الكبير**)**

(المكان: محطةُ الحافلات. حيث يغرقُ المقهى في الظلام والفوضى العارمة، وتبقى الرؤية متقطّعة وغير واضحة المعالم بسبب ألسنة الدخان المتصاعدة من زوايا المقهى المختلفة. تصلنا الصرخات المتألّمة والمتقطّعة التي لا يُعرَف مصدرها بسبب كثرة الفوضى التي تعمّ المقهى. استغاثات بعيدة، وعواء كلاب جريحة، ومواء قطط مُصابة بالذعر والهلع. الريحُ تتابع نُواحَها وأنينَها دون كلل. تشتدّ وتخفت، ثمّ تبدأ الإضاءة بالسطوع التدريجي الخجِل، وتكشف لنا حجم الدمار الذي أصاب المكان والتهمه. منيرة والدماء تسيل منها تائهة في المكان خائفة).

منيرة: (تبكي منادية صارخة): منى. منى ابنتي! أين أنتِ؟

(منيرة تعثرُ على دمية طفلتها بين الحطام. الدمية شبهُ محترقة وقد بُترِتْ إحدى ذراعيها. منيرة تمسكُ بالدمية وتحدّثها)..

منيرة: (صارخةً): منى. أين أنتِ؟ هي كانت معكِ؟ أين هي أخبريني؟

(منيرة تنهار باكية، وتحتضنُ الدمية المحترقة وتتكوّر على نفسها. لُبنى مستلقية بين الحطام دون حراك. يدخل الطفل نهار إلى المقهى خائفًا ومرعوبًا. يجري يبحثُ عن جدّه بين حطام الحطام المتناثر في كلّ مكان).

الطفل نهار: (صارخًا وبألم): جدّي. جدّي. أين أنت؟ جدّي.

(نسمعُ أنينًا خافتًا من إحدى الزوايا. محمود والدماء تسيلُ من جبهتِهِ)..

محمود: (صارخًا): شهاب. ابني. شهاب!

(المُصوِّر خالد يدخل المكان حائرًا وفزعًا والكاميرا مُعلَّقة في رقبتِهِ. المُصوِّر خالد يدورُ بين الحطام بذهول وخوف وحيرة. نسمعُ صفّارات حافلات الإسعاف من بعيد. يدخل المسعفون المحطة. يحاولون إسعاف المصابين. يقتربُ أحد المسعفين من محمود ويسعفه).

محمود: (مذعورًا) عيني. أنا لا أرى شيئًا، لا أرى شيئًا.

(المُسعِف يمسكه ويُخرِجه من المكان. المُصوِّر خالد يقف حائرًا بين الحطام. المسعف (1) يقتربُ من المُصوِّر خالد الذي تتدلّى الكاميرا من عنقِهِ).

المسعف 1: (منفعلًا): لماذا أراكَ واقفًا! أنتَ صحفي؟! صوِّرْ. لديكَ مادة صحافية طازجة. التقط من الصور ما تستطيع.

المُصوِّر خالد: (متأثّرًا وكأنّه يهذي): وكيف يمكن لآلتي أن تلتقط كُلّ هذهِ الفوضى العارمة والدمار والألم والعبث؟ كيف أخبرني؟

(خالد المُصوِّر يدور في المكان بين الحطام حائرًا).

المُصوِّر خالد: (صارخًا وبألم): لا أستطيعُ النظرإلى لوحة الدماء هذهِ، لا أستطيعُ.

(يقتربُ المسعف (1) من المُصوِّر خالد. المسعف يضع يدهِ على كتفَه ويهزّهُ بقوة).

المسعف 1: قد تكون الفرصة التي لن تتكرر مرّة أخرى، صوّر. فصورك قد تُساعدهم في التحقيق، وتكشف حقيقة ما جرى من دمار وألم.

(المُصوِّر خالد يمسكُ الكاميرا بين يديه المرتعشتين).

المُصوِّر خالد: (وكأنهُ يحدّث نفسه): الفرصة! أتكون هذهِ هي الفرصة التي أبحثُ عنها وأنتظرها؟

(المُصوِّر خالد ينزع الكاميرا من عنقهِ. يبدأ في أخذ الصور للحطام والدمار والمصابين والمسعفين. يصوّر منيرة الباكية والمنكمشة على نفسها ودمية ابنتها بين أحضانها. ينتقلُ من مكان إلى آخر، ويُزاحِم المسعفين ويلتقط المزيد من الصور. الطفل نهار تظهر لهُ أرجل جدّه منصور من بين الحطام. يقوم ويحاول إبعاد الحطام عن جدّه المنحشر بين الحطام. الجد منصور يئنّ تحت أكوام الحطام).

العمّ منصور: (يئنُّ متألّمًا): آه أنجدوني أنا هنا تحت هذا الركام!

(الطفل نهار لا يستطيع إزاحة الحطام عن جسم جدّه).

الطفل نهار: (صارخًا): تعالوا ساعدوني، جدّي، جدّي هنا. لا تمُت يا جدّي، لا تتركني. (المسعفون منشغلون عنهُ بإسعاف المصابين. الطفل نهار يقترب من المُصوِّر خالد ويمسك يدهُ ويحاول جرّه معهُ ناحية الجد المصاب).

الطفل نهار: (باكيًا ومتوسّلًا): جدّي هناك. ساعدني. جدي حيّ يتنفس. ساعدني أرجوك.

(المُصوِّر خالد ينظرُ إلى الطفل نهار دون اهتمام وكأنّهُ لا يعرفهُ. يفلِت يده ويبعدها عنهُ بكلّ قوة وعنف، ويواصلُ توجيه فوّهة الكاميرا، ويصوّر بهمّة ونشاط كبيرين. الطفل نهار ينظر إلى خالد مصدومًا من ردّة فعله).

الطفل نهار: (مستغربًا): لماذا كلّ هذا؟ أنتَ صديقنا أنا وجدّي!!

(الطفل نهار يهرعُ إلى مكان جدّهِ، ويحاولُ إزاحة الحطام عنهُ. الجدّ يئنُّ من تحت الحطام. الطفل نهار يمسك رجل جدهِ وينزع عنها فردة الحذاء. لُبنى تظهر بين الحطام وهي في حالة ذهول. أحد المسعفين يساعدها ويُخرِجها من المكان. المُصوِّر يواصل التنقل من مكان إلى آخر، وفوّهة الكاميرا تأخذ المزيد من الصور. يركّزُ على الطفل نهار الذي يحاول إسعاف جدّهِ من تحت الركام دون فائدة. المُصوِّر مستمرّ في التصوير وأخذ المزيد من الصور لنهار الذي يحاول إسعاف جدِّه وإنقاذه. يقترب أحد المسعفين من الطفل نهار).

الطفل نهار: (صارخًا): أرجوك. أنقذ جدي إنّهُ حيّ يتنفّس.

(يقتربُ المسعف (2) من مكان وجود الجدّ. يتفحّص الجدّ، ويجدهُ قد فارق الحياة).

المسعف 2: (يحدّثُ نفسهُ بألم): لقد توفّي.

(يبتعدُ المسعف (2) ويذهب ليساعد المصابين. الطفل نهار في قمة الانهيار).

الطفل نهار: (منهارًا صارخًا): ارجعْ وساعد جدّي، أرجوك إنّهُ حيّ تعال ارجعْ. جدّي حيّ.

(يقومُ الطفل نهار، ويحاول بكلّ ما لديه من قوة إخراج جدّهِ من تحت الركام. الطفل نهار يمسك بعمود حديدي ويحاول إزاحته عن جسم جدّهِ. ينهار الجدار على الطفل نهار بسبب جرّه للعمود. المسعفون يقتربون من الطفل نهار الذي يصرخ ويئنُّ تحت ركام الجدار المنهار. المُصوِّر خالد مستمرّ في توجيه فوّهة الكاميرا وأخذ المزيد من الصور ومن زوايا مختلفة. المسعفون يحاولون إخراج الطفل نهار من تحت الركام. الطفل نهار لا نرى منه سوى يديه اللتين تقبضان على حذاء جدّهِ بكل ما لديه من قوّة وعزيمة).

الطفل نهار: (صارخًا ومتألمًا): آه. رجلي. رجلي!

المسعف 1: (متأثرًا) رجلهُ محشورة بين الركام ولا سبيل إلى إخراجها.

المسعف 2: (مرتبكًا) يجب إخراجه سريعًا. لقد بُلّغنا عن احتمال وجود قنبلة ثانية في المحطة، وقد تنفجرُ في أيّة لحظة.

(يقوم المسعفان باستخدام آلة لقطع الركام عن الطفل نهار. المُصوِّر خالد مستمر في أخذ الصور له. المسعفون يُخرِجون الطفل نهار من تحت الحطام وفي يدهِ فردة حذاء جدّهِ منصور. الطفل نهار يصرخ متألّمًا).

المسعف 2: (هامسًا): إنهُ ينزف بغزارة شديدة! أسرعْ بنا. يجب نقله سريعًا إلى المستشفى.

الطفل نهار: (باكيًا): جدّي. أين جدّي؟

المسعف 2: جدّك بخير سنعود إليه لاحقًا.

الطفل نهار: (صارخًا): اتركوني أنا. وأنقذوا جدّي أرجوكم. اتركوني.

(يقوم المسعفون ويضعون الطفل نهار على الحمّالة والدماء تسيلُ منه، ورغم كلّ ذلك لا يزال مطبقًا بكلتا يديهِ على فردة حذاء جدّهِ منصور لا يفلتها. المُصوِّر خالد مستمرّ في توجيه فوّهة الكاميرا وأخذ المزيد من الصور للطفل نهار الذي يدفن وجهه باكيًا في فردة حذاء جدِّه. المسعفون يحملون الطفل خارجًا. خالد مستمر في توجيه الكاميرا وأخذ الصور للطفل، ويخرج معهم من المشهد. تدخلُ مجموعات أخرى من المسعفين إلى الموقع).

المسعف 3: (صارخًا): ابتعدوا عن المكان. الشرطة وصلت.

(تدخلُ مجموعة من أفراد الشرطة الموقع ومعهم العمّ ألماس الذي يحاول المقاومة. الشرطي يدفعه ليتحرك).

الشرطي: (صارخًا) توقّفْ عن المقاومة.

العمّ ألماس: (يقاطعه): أنا لا أقاوم. أنتم مَن تدفعونني.

(الشرطي يضعُ القيود في معصم العمّ ألماس)

العمّ ألماس: (صارخًا بألم): اتركوني. اتركوني لماذا تعتقلونَ دائمًا الشخص الخطأ؟!

(إظلام تام)

الفصل الثاني

المشهد الأول

(الوقت: الساعات الأولى من بعد حدوث الانفجار الدموي).

(المكان: ممرّ طويل للطوارئ في أحد المستشفيات). (المسعفون والممرضون في حالة شديدة من الارتباك.

لُبنى على السرير المتنقل، تستفرغ في كيس بلاستيكي. محمود جالس فوق السرير المتحرّك. الطبيب يفحص عينيهِ بمصباح صغير).

الطبيب: لا ترمشْ بعينيك اثبت. لا تخفْ.

محمود: (فزعًا ومرتبكًا): أنا لا أرى شيئًا، لا أرى غير الظلام الدامس.

(الطبيب يُطفئ المصباح الصغير).

الطبيب: لا تقلقْ. عيناك سليمتان، ولا يوجد فيهما أيّ إصابة. إنّها حالة نفسية مُؤقّتة، أنت في حالة صدمة لا غير بسبب الانفجار، وبصرك سيعود إليك بالتدريج. اهدأْ، ولا تفكر في شيء. اهدأ ولا تخفْ.

محمود: (منفعلًا): ابني. ابحثوا عن شهاب. ابني ضرير لا يرى. ابحثوا عنهُ.

الطبيب: لا تقلق. اطمئن هو بخير إن شاء الله.

محمود: (منفعلًا) أقولُ لك: إنّهُ ضرير. ضرير، اتركوني يجب أن أجده.

(محمود يحاول مغادرة السرير. يتعثّر ويسقط أرضًا. الطبيب بمساعدة أحد الممرّضين يُرجِعه إلى سريره الطبي المتحرّك. الطبيب يُعطيه إبرة مُخدِّرة. محمود يذهب في سُبات عميق. يقوم الممرّض ويغطي وجه محمود. منيرة على السرير تحتضن دمية ابنتها. الدمية محترقة ومبتورة اليد اليسرى. السرير يدفعهُ أحد الممرّضين. منيرة تنزع قناع الأوكسجين عنها).

منيرة: (صارخةً منفعلة): ابنتي. هل رأيتم منى ابنتي؟

(تقتربُ منها طبيبة شابّة).

الطبيبة: اهدئي هي بخير اهدئي.

منيرة: (فرحةً): أين هي يا دكتورة؟ أريد أن أراها لو سمحت؟

الطبيبة: (متلعثمةً) ترينها فيما بعد. لا تخافي. هي بخير وموجودة في القسم الثاني، المهم الآن أنتِ. لديك جرحٌ غائر، ويجبُ أن نخيطَهُ حتى نوقِف النزيف.

(الطبيبة تُرجِعُ قناع الأوكسجين).

الطبيبة: أدخِلوها إلى غرفة العمليات حالًا.

(يقوم الممرض ويدخِلها إلى غرفة العمليات. الطبيبة تخرجُ من المشهد مسرعة. يتمّ إدخال جثّة مُغطّاة بقماش أبيض على السرير الطبي المتحرك. يقوم الطبيب ويرفع القماش عن الجثّة. نرى وجه الرجل الملتحي والابتسامة تنيرُ وجهه. الطبيب يتأمّل الرجل الملتحي المُسجّى على السرير).

الطبيب: (متأثرًا): إنهُ يبتسم. أدخِلوهُ ثلّاجة الموتى.

(يتمّ إخراج جثمان الرجل الملتحي من المشهد. تدخلُ بدرية ووالدتها المكان).

بدرية: (بجزع وخوف): أين نجد محمود يا أمي وسط كلّ هذهِ الفوضى والدمار؟

أم بدرية: سنجده يا بنتي إن شاء الله.

بدرية: (في قمة القلق): أمّي ماذا لو توفّي محمود في هذا الانفجار؟ هو أملي الوحيد. أمي أنا خائفة خائفة. أشعر بالغثيان.

أم بدرية: اطردي عنكِ هذهِ الوساوس ودعينا نسأل ونبحث عنه.

(تواصل بدرية وأمّها البحث بين أسرّة الجرحى. بدرية تقفُ عند أحد الممرّضين وتسألهُ. تبتعدُ بدرية عن الممّرض).

بدرية: أمّاه! بعض الجرحى تمّ نقلهم إلى داخل المستشفى. هيّا بنا نسأل عنه في الداخل.

(بدرية وأمّها يخرجان من المكان. تدخل زينب أخت جلال المشهد. تبحثُ بين الجرحى عن أخيها. لُبنى مستمرة في التقيّؤ. زينب تقتربُ من الطبيب).

زينب (خائفة ومرتبكة) أخي أين أخي؟ أين أخي جلال؟ أين أنت؟

الطبيب: اهدئي يا أختي وابحثي عنه جيّدًا.

زينب: (بألم وخوف): لقد بحثتُ عنهُ بين كلّ الجرحى ولم أجدهُ.

(لُبنى تنتبهُ إلى زينب وحديثها. يتمّ إدخال جثة أخرى مُغطّاة بقطعة قماش يدفعها أحد المسعفين. زينب تستوقف المسعف. الطبيب يطلبُ منه رفع الغطاء عن الجثمان. زينب تقتربُ من جثمان أخيها وهي في قمة الانهيار والبكاء).

زينب: (منهارة تخنقها الدموع والكلمات): لا. جلال أخي، جلال! لا يا أخي! لا تمُت لا يا أخي!. لا. مَن لي بعدك يا جلال؟ مَن لي بعدك يا أخي؟ وعدتَني بتحقيق أحلامي لماذا تركتني يا أخي؟ لماذا؟! جلال حبيبي أخي خطوبتي يوم الخميس القادم، لن تتمّ هذهِ الخطوبة لن تتمّ.

(يقوم الطبيب ويُرجِعُ الغطاء إلى وجه جلال. زينب مستمرة في بكائها ونحيبها الموجع. لُبنى تنظرُ بذهول وندم وألم إلى جثمان جلال والدموع تتراقص في عينيها. المسعف يدفع بالسرير الذي عليه جثمان جلال إلى الخارج. زينب تنتحب).

لُبنى: (مع نفسها تخنقها الكلمات والدموع): ماذا فعلت بنفسي؟! قتلتُ حلمي! جلال! جلال سامحني. الغيرة أعمتني.

(لُبنى تفتحُ حقيبة يدها الصغيرة وتخرِجُ الخاتم. تنظرُ إلى الخاتم متألّمة. يدخل الآن زوجها حامد المُسِنّ إلى المشهد ومعهُ طفلهما الصغيرعمر. لُبنى تسرع وتعيد الخاتم إلى حقيبة يدها الصغيرة. الطفل عمر يرتمي في حضن أمّه. لُبنى تحضنُ طفلَها وعيونُها تتابع بألم خروج جثمان جلال من المكان. يقومُ المُسعف ويُخرِج جثمان جلال من المشهد وخلفه زينب وهي تبكي).

حامد: (في قمة الفزع والخوف): سلاماتك يا أمّ عمر!

(لُبنى تنظر إلى حامد المُسِنّ بغير اهتمام. لا تردّ عليه، تنظر إليه فقط).

حامد: خفنا عليكِ عندما سمعنا بالانفجار الذي حدث في محطة الحافلات.

(لُبنى تحضن طفلها عمر، وتنفجر في موجة بكاء موجعة. حامد المُسِنّ يقتربُ منها ويضع يدهُ على كتفها. لُبنى تبعِدُ يدَه عنها).

حامد: (مستغربًا): هل أنتِ بخير؟!

لُبنى: (كأنّها تحدّثُ نفسها): أجل. أشعر فقط ببعض البرد.

حامد: هل تريدين مزيدًا من الأغطية؟

(لُبنى صامتة. تمسحُ فمها بيدها. حامد المُسِنّ يُسرع ويُحضر لها بعض الأغطية، لُبنى ترفضُ الأغطية وترميها أرضًا، وتحضنُ حقيبة يدها الصغيرة).

لُبنى: هل تعرف؟ حامد، أنا على علاقة بأحدهم؟

حامد: (متفاجئًا ومنفعلًا): ماذا تقولين؟! ما هذا الكلام الفارغ يا لُبنى؟ اسكتي كي لا يسمعك أحد. إنّكِ لا تعنين ما تقولين. إنّكِ تحت تأثير الصدمة.

لُبنى: (متأثّرة وثائرة): لا. إنّها الحقيقة يا حامد.

(حامد المُسِنّ ينتفض كالملدوغ. يُطْبِقُ بكلتا يديه على عُنقها. وينزع منها حقيبة يدها).

حامد: (في قمة الغضب والانفعال): أيّتها العفنة.

(لُبنى تنتزعُ عنقها من يديه بصعوبة. تحاول استرجاع حقيبة يدها الصغيرة من حامد المُسِنّ. الطفل عمر حائر بينهما. لُبنى تعضُّ على شفتيها. تزفرُ الهواء من فمها بقوّة).

لُبنى: (تكمل حديثها): نحنُ نكذّبُ الحقيقة ونخافُ منها.

(فترة صمت. لُبنى تضمُ يدها إلى صدرها. وتنظرُ إلى طفلها عمر الحائر).

لُبنى: (متأثّرةً): أحببتُه نعم. ومن أعماق قلبي، وتعاهدنا على الارتباط بعد انفصالي عنكَ طبعًا.

حامد: (في قمة الغضب والانفعال): يا فاجرة، يا خائنة! أنتِ تستحقين الموت.

(حامد المُسِنّ ينظرُ إليها والشّرر يتطاير من عينيه. ويقوم ويسحبُ الطفل عمر ناحيته. يقتربُ منها مسرعًا ويحاول أن يخنقها مرّةً أخرى. لُبنى تُبعِد يديهِ عنها.

وتتحسّسُ عُنقها متألّمةً. تواصل محاولات أخذ الحقيبة الصغيرة من يد زوجها دون فائدة. الطفل عمر يقف بينهما في حيرة).

لُبنى: (متألّمةً): لا تتهورْ. اطمئن. حبّنا أشرف وأنبل من أوهامك الكريهة. طلّقني يا حامد الساعة.

(حامد المُسِنّ يقترب منها غاضبًا، يدور حولها بعصبية وهو ممسك بالطفل عمر أثناء دورانهِ حولها. يضرب ثائرًا بيده على السرير. يهزّ السرير بعنف وغضب كبير. حامد يتوقّف عن هزّ السرير. يبتعد عنها قليلًا وهو ممسك بالطفل عمر بيد وفي اليد الأخرى حقيبة يدها الصغيرة. يقف بعيدًا عنها. يضع يدَه على ذقنه وينفجر ضاحكًا ساخرًا. يقترب منها وهو يتحرّك بحركة مسرحية استعراضية ساخرة).

حامد: (ساخرًا) تقول: أُطلّقها!!

(حامد المُسِنّ وبحركة مسرحية استعراضية يلوك الكلمة وكأنّهُ يغنّيها).

حامد: (يُغنّي ساخرًا ومستعرضًا) أُطلّق. أُطلّقك. تطلبين الطلاقَ! (حامد ينفجرُ ضاحكًا ساخرًا منها. يجمدُ في مكانهِ. ينظرُ إليها ويكاد يأكلها بعينيه. يفتح حقيبة اليد الصغيرة ويجد الخاتم ويقترب منها مُهاجِمًا).

حامد: (منفعِلًا): واسمه جلال. تطلبين مني أن أُطلقَك؟! كي تتزوجيهِ يا ملعونة! لن أُطلِّقَكِ أبدًا. وابنُكِ هذا انسيه،

وعيشي مع حبيب قلبكِ المزعوم في وحل الرذيلة يا قذرة، لن أدعكِ تهنئين بحُبّهِ. عيشي معهُ في جحره كالخفافيش.

(حامد يُمسك بالطفل عمر ويمنعه من الاقتراب منها).

حامد: (تخنقه الضحكة والسخرية): هيّا بنا يا عمر. والدتك ستبقى طويلًا في المستشفى حتى تشفى من جروحها وألمها، المسكينة قلبها عليل!

لُبنى: (متوسّلةً باكية): لا تحرمني من طفلي يا حامد. ارحمني وقدّر صدقي معكَ. اعتِقني أتوسّل إليكَ. أنا لم أَخُنْك.

حامد: (منفعلًا): سوف أتزوجُ مَن هي أجمل وأصغر منكِ بنقودي.

(الطفل عمر يعارض ويحاول الاقتراب من أمّه. حامد يراه. يمسكه ويعنّفهُ ويهدّده بعدم مغادرة مكانه. وينظرُ إلى أمّه بعين باكية. حامد يقتربُ من لُبنى ويمسح على شعرها. لُبنى تنظرُ إليه خائفة ومرتبكة. حامد يجلس على طرف السرير. يهزُّ رجليه كما يفعل الأطفال أثناء لعبهم فوق المراجيح. ينظرُ إليها غاضبًا، ويتوقّف عن هزّ رجليه كما يفعل الأطفال. يقتربُ منها وهو في قمّة الانفعال والغضب).

حامد: (يتوعّدها): أتعلمين؟ سوف تتمنّين الموت يا لُبنى، من الساعة سأبحثُ عن زوجة وأترُككِ معلّقةً لا أنتِ في السماء ولا على الأرض.

(حامد المُسِنّ ضاحكًا ساخرًا. يقفز من فوق السرير ويمشي بطريقة مسرحية استعراضية ثم يقترب منها مندفعًا).

حامد: (ساخرًا): هذهِ هي صورتكِ، حقيقتكِ ملعونة في الدنيا والآخرة.

(حامد يلوّح لها بيده مودّعًا ويعودُ إلى طفلِه. يمسك به ويسحبه معه. يحاول التملّص من يدي والده دون جدوى. حامد المُسِنّ والطفل يختفيان من المشهد. لبنى تنزلُ من فوق سريرها وتصرخ بطريقة هستيرية جاثمة على ركبتيها، وهي في قمّة انفعالها وتأثّرها).

لُبنى: (تصرخُ وبهستيرية وتُخبّط) اترك لي ابني. طلّقني يا حامد. طلّقني.

لُبنى: جلال! أين أنتَ جلال؟!

(لُبنى تضرب رأسها بيديها. تدخل في حالة من الهياج والانفعال. يسرعُ الممرضون إليها).

لُبنى: (صارخةً باكية): ليتني صَمَتُّ. أخبروه أن يعيد لي ابني.

الطبيب: عليكِ الهدوء. أهلُكِ لم يصلوا بعد، إنّهم على الطريق. لقد اتصلنا بزوجكِ. وهو قادم.

لُبنى: (منفعلةً): حامد كان هنا منذُ قليل وأخذ ابني. أخبرْهُ أن يعيد لي ابني، أنا سأموت من دون عمر، ابني عمر كلُّ حياتي. أخبرْهُ يا دكتور.

(الطبيب يهمسُ للممرض).

الطبيب: (هامسًا) إنّها تتوهّم. قد تكون إشارات لحدوث انهيار عصبي حادّ لها، أسرعْ وأحضرْ لي حُقنة مُهَدِّئ.

(يسرعُ الممرض خارجًا من المشهد. لُبنى مستمرّة في الصراخ بطريقة هيستيرية مخيفة. الطبيبُ يُرجِعها إلى سريرها. يعودُ الممرّض إلى المشهد ومعهُ الحُقنة. الطبيبُ يعطيها الحقنة المنوِّمة).

لُبنى: (بوهن وضعف كبير): أنا مُرهَقة. مُرهَقة.

الطبيب: انقلوها إلى الداخل.

(يتمّ نقل لُبنى إلى الداخل، وتخرج من ممرّ الطوارئ. يدخل شهاب وعلى جبهتهِ رباط طبيّ، ويدفعه أحد الممرضين على كرسيّ متحرك).

شهاب: (صارخًا): أبي! أين أبي؟

الطبيب: اهدأ. أنت الشابّ الضرير؟

شهاب: نعم يا دكتور. أين أبي؟

الطبيب: لا تخفْ. إنّهُ بخير. خذهُ إلى والدهِ.

(يقومُ الممرض ويأخذه إلى والدهِ. محمود في قمة الفرح والسرور. يحضنُ ابنهُ ويقبّلهُ فرِحًا).

محمود: أنت بخير يا شهاب، يا ابني؟! الحمد لله والشكر على سلامتك.

شهاب: (فرِحًا): أنا بخير يا أبي. الحمد لله على سلامتك.

(محمود يمسحُ دموعَهُ بكفّيه. تدخل بدرية ووالدتُها المشهد. تقتربان من محمود وابنه).

بدرية: (باكية تخنقها فرحتُها): محمود. الحمد لله على سلامتكم. الحمد لله.

أم بدرية: (تُقاطعها): الحمد والشكر لله على سلامتك يا ولدي، لقد أخبرتكِ يا بدرية.. محمود بخير.

(المسكينة كادت أن تُجَنّ وهي تبحث عنك من قسم إلى آخر يا محمود. اهدئي الآن وقرّي عينًا يا حبيبتي، ها هو خطيبُكِ أمامكِ، ولله الحمد والشكر. (محمود يرفع يدهُ باحثًا عن بدرية، ويتحسّس الفراغ حولَه. بدرية وأمّها مصدومتان لا تصدقان ما يُرى).

أم بدرية: (تخنقها الصدمة): محمود أنت فقدتَ بصركَ؟!

محمود: (بأسى ومتأثّرًا): للأسف يا خالتي فقدتُ بصري بسبب الانفجار. سيكون على بدرية العيش معي وأنا كفيف، بدرية أنتِ تحبينني أليس كذلك؟ ولن تتخلّي عني في محنتي، هذا عشمي فيكِ. (بدرية تضعُ يدها على فمها مصدومة، وتبتعدُ عن محمود وولدهِ هي وأمها).

بدرية: (هامسةً): ما رأيكِ يا أمي؟ ماذا أفعل؟

أم بدرية: (هامسةً): وتسألين بعد؟ حُسِمَ الأمرُ وانتهى، هيّا بنا نخرج من هنا، واحمدي ربَّكِ أنّهُ فقد بصرَه قبل أن يُصبح زوجَكِ،

وتعيشين معه وهو على هذهِ الحالة، هيّا بنا نخرج. هيّا أسرعي. (بدرية مترددّة حائرة. أم بدرية تمسكها من يدها وتجرّها).

أم بدرية: (هامسةً): هيّا لن يشعر بنا أنسيتِ أنّهُ ضرير؟ هيّا بنا نخرج. هيّا تحرِّكي.

(بدرية وأمها تخرجان من المشهد).

شهاب: (متوجسًا وخائفاً) أبي أنت لا ترى؟! فقدتَ بصرك؟!

محمود: (يقاطعهُ): لا يا بُنَيّ. أنا بخير. لا تقلقْ. أنا بخير، ولا أشتكي شيئًا، ولله الحمد والشكر.

شهاب: أبي! أين بدرية ووالدتها؟ لا أسمع لهما حسًّا.

محمود: (ساخرًا وتخنقه الضحكة): لقد هربتا عندما سمعتا أنّي فقدتُ بصري.

شهاب: ولِمَ فعلتَ ذلك يا أبي؟!

(محمود يقتربُ من شهاب ويضع يدَه على كتفهِ. شهاب يبحثُ عن يد والدهِ ويمسكها).

محمود: حتى أتأكد من ثبات حبّها لي يا شهاب.

(محمود يمسكُ ابنه).

محمود: هيّا بنا يا بُنَيّ نخرج من هنا، ونذهب إلى السوق لنشتري الشّال لعمّتك سعاد.

شهاب: (فرحًا): الشّال! لم تنسَ يا أبي.

محمود: أنسى! وكيف أنسى يا بُنَيّ؟! هيّا بنا نخرج.

(محمود وشهاب يخرجان من المشهد. يدخل عبد السّلام مرتبكًا. يقتربُ من أحد الممرّضين).

عبد السّلام: (صارخًا ومنفعلًا): زوجتي وابنتي! أين هما؟ أين هما؟

الممرض: زوجتك وابنتك ابحثْ عنهما هنا في هذا الكشف.

(عبد السّلام يبحث في الكشف).

عبد السّلام (في قمّة الفرحة): نعم الحمد لله وجدتهما.

(الممرض يقتربُ منهُ وينظرُ إلى الكشفِ الذي معه).

الممرض: سوف تجدهما في قسم التنويم في الداخل.

عبد السّلام: أشكرك.

(ينصرفُ عبد السّلام من المشهد. يتمّ إدخال العمّ ألماس وهو مُقيَّد ويرافقهُ رجال الأمن. خالد المُصوِّر يدخل معهم، ويلتقط المزيد من الصور للعمّ ألماس)

(إظلام تام).

الفصل الثاني

المشهد الثاني

(المكان: يُفتَحُ المسرح على حفل تكريم المُصوِّر خالد عبدالله).

(الوقت: ليلًا بعد مرور أشهر على حدوثِ الانفجار الدّموي. في وسط وفي قلب الواجهة تتصدر صورتان كبيرتان بارزتان للطفل النادل نهار وجده منصور. الأضواء الكاشفة مُسلَّطة وبتركيز مُبالَغ فيهِ على الصورتين المُحتفَى بِهما. في الصورة الأولى يظهرُ الطفل نهار مع جده منصور في المقهى (في لحظة باسمة مشرقة مفرحة كلُّها حياة) قبل لحظات من حدوث الانفجار الدموي، وفي الصورة الثانية المحاذية للصورة الأولى يظهر لنا الطفل نهار وهو يحضنُ فردة حذاء جده المُتوفَّ منصور (في لحظة من الهلع والخوف والألم يعاني منها الطفل نهار، وفي يدهِ فردة حذاء جده المتوفى). بعد لحظات من حدوث الانفجار الدموي. يقوم الكشّاف الضوئي المُسلَّط على الجمهور الحاضر للحفل بالمرور والتعريف بهم. نرى محمود وابنه شهاب الضرير في الحفل الاحتفالي مع الجمهور الحاضر للحفل. نرى أسرة عبد السّلام ومعهم والدته سلمى في الحفل الاحتفالي، وعلى مقربة من مكان جلوس محمود وابنه شهاب. عبد السّلام يمسك بيد منيرة ويداعبها بحنان).

عبد السّلام: (هامسًا): الحمدُ لله يا منيرة. كلّ شيء عادَ إلى مكانه الطبيعي.

(منيرة تنظرُ إلى عبد السّلام باسمةً).

منيرة: (هامسةً باسمةً): عبد السّلام! يكفي حبيبي. لا نريدُ الحديث عن الماضي.

(منيرة تجلسُ بالقرب من خالتها والدة عبد السّلام ضاحكة فَرِحَة. سراج وأخته فرَح من ضمن الجمهور الحاضر للحفل. زينب أخت جلال جالسة مع الجمهور الحاضر. الطبيب والطبيبة يجلسان ويشاركان في الحفل الاحتفالي. نرى الكثير من المسعفين متواجدين مع جمهور الحفل. نرى لُبنى جالسة مع زوجها وابنها عمر مع الجمهور الحاضر للحفل. لُبنى مرتبكة تتلفّتُ يمينًا وشمالًا خائفة وحائرة من وجودها في هذا الحفل. نرى الطفل نهار جالسًا في زاوية بعيدة منسيّة في قاعة الحفل. موجات من التصفيق والتهليل تهلُّ من كلّ مكان من زوايا الحفل. تصهلُ موسيقى افتتاحية حماسية تُستخدَمُ في العادة في مثل هذهِ المناسبات الاحتفالية، ويمتزجُ صهيلُ الموسيقى الهادر مع التصفيق الحماسي للجمهور الحاضر للحفل. يقومُ الكشّاف الضوئي الكبير وينتقلُ بإضاءتِه المُرَكَّزة كاشفًا وجوه جميع الأشخاص الناجين من حادثة التفجير والموجودين في قاعة الحفل. تستمرُّ الإضاءة التعريفية بالتنّقلِ بين الناجين من حادث الانفجار ترافقها موسيقى مناسبة لذلك الاستعراض الضوئي الباهر. تُسلَّطُ الإضاءة على المُصوِّر خالد عبد الله وتتوقّف عنده، وهو في قمة الارتباك

يمسحُ قطرات العرق عن جبينه الملتهِب. مريم تجلس بجانبهِ باسمةً وتكاد تطير فرحًا).

مريم: (تخنقُها الفرحة): خالد. وأخيرًا أزهرت أحلامنا وأصبحت واقعًا نلمسه بأيدينا، كم أنا سعيدة بما أعيشه في هذهِ اللحظة من ألوان الفرح يا خالد!

المُصوِّر خالد: (يهمسُ لها): مؤلم يا مريم ومضحك أنّني وجدتُ حياتي على أشلائهم وأنينهم وآلامهم. لا أدري! عقلي يُطالبني برفض هذهِ الجائزة يا مريم!، إنها مُلوَّثَة بدمائهم وآلامهم. مُلوَّثة!

مريم: (منفعلةً هامسة): خالد! من العبث أن تُنكِرَ على نفسكَ ما أنت به من متعة وإنجازٍ، لا لشيء إلّا لأنّ بعضهم حُرِمُوا منها. اترك عنك المعنى فهو فخّ، والشيء الوحيد والمنطقي لما حدث مُجرَّد صدفة عابرة، فلا تُفلتْها يا حبيبي. وأنا كلّي ثقة أنّك حصلت على هذهِ الجائزة لأنّك تستحقها.

المُصوِّر خالد: (بألم كبير): ولكنّ الكلمات تُحتضَرُ في طريقها إلى المعنى. الحقيقة تكويني بسطوعها وتوهّجها، وتؤلمني يا مريم. تؤلمني!

(مريم تضع يدها على يديه).

مريم: (بحـزم وإصـرار): بِـعِ الحقيقـة وألمَهـا واشـترِ أحلامَنـا وسعادتنا يا خالد.

(مريم تميلُ بكامل جسمها ناحية خالد، وتحاول رسم بسمه على شفتيها. تقوم وتمسك يده بين يديها وتحتضنها وتنظر إليه. يعودُ هدير الموسيقى الاحتفالي من جديد متوهّجًا ويمتزجُ بهتاف وصيحات الجمهور الحاضر للحفل. مريم تنظرُ إلى خالد المرتبِك والحائر. تضعُ عينيها في عينيهِ وتبتسم له. وهو في قمة الحيرة والارتباك والتردّد).

مريم: (منفعلـةً هامسـة): خالـد حبيبـي! أقصـى حـدودِ العبـثِ أن نـرفض السـعادة لأنّ هنـاك في الـدنيا مَـن حُرِمـوا منهـا، لا. لا تُرفضِ السعادة حبيبي. وتـذكّر أنّ الجميـع هنـا يحتفي بـكَ وبإنجـازكَ المبهِـر. خالـد حبيبـي لا تُرهـق عقلَـك، خالـد لا تُفكّر في شيء آخر، فقط عشْ ما نحنُ فيه، وانتظر ما هو قـادم لنا مـن أفـراح وسـعادة. اهـدأ يـا حبيبي، أُبشِّـرك حبيبي. أبي وافق أخيرًا على زواجنا.

(يدخلُ مُقَدِّم الحفل ويقفُ على منصّتهِ. تَصهلُ الموسيقى الحماسية وتصدح. وترتفعُ موجة التصفيق بين الجمهور الحاضر للحفل. تنخفضُ وتيرة الحماسة للموسيقى المُستخدَمة، وتبدأ في الخفوت تدريجيًّا وتبقى حاضرة خجلة).

مُقَدِّم الحفل: (متأثرًا وبألم): والآن وبعد مرور أشهر على الحادثة الدموية المأسـاوية والإرهابيـة التـي ذهـب ضـحيتها –وللأسـف–

الكثير من الضحايا والأبرياء، لا ذنب لهم سوى وجودهم في المكان والزمان الخطأين، ونصيبهم الذي زفّهم إلى قدرهِمِ المحتوم والمكتوب لهم منذُ الأزل، ندعو في هذا المساء لِمَن قضَوا في هذا الحادث الأليم المؤسف، سائلين المولى عزّ وجل أن يرحمهم ويغفر لهم، وأن يُدخِلَهم فسيح جناته. ويصبّر أهلهم على مُصابهم الجلل، وحسبي أن يُكتبَوا عند ربّهم شُهداءَ إن شاء الله تعالى. والحياة ستستمرُّ رغم كلّ شيء. (فترة صمت).

مُقَدِّم الحفل: (يستدرك حديثَهُ): ودُموعنا وألمنا لن تُوقِف مِزهرَ الشمس عن السطوعِ. مهما فعلنا فحياتُنا سلسلة من اللحظات. دعوها تمرّ، اتركوا اللحظات تمرّ بسلام، ودعونا ننسى الألم.

(تعودُ وتيرة الحماس الموسيقي الاحتفالي مرةً ثانيةً للسطوع والتوهّج التدريجي.. مُقَدِّم الحفل يمسك الميكروفون ويضرب عليه لجلب الانتباه والتركيز. يقومُ الجمهور الحاضر ويصفّق مُحيِّيًا مُقَدِّم الحفل).

مُقَدِّم الحفل: (بفرح وبِشر): وكذلك نُهنّئ من نجا من هذا الانفجار وكُتِبَ لهُ عمر جديد، نهنّئُهُم بسلامتهم، ونتمنّى لهم السعادة والعمر المديد، وتجاوز مُستنقع ألم هذهِ التجربة، وفتح صفحة جديدة في حياتِهم ملؤُها الفرح والأمل بغدٍ مشرق

وضّاء، فالظلامُ لا يستطيعُ طرد الظلام. النورُ فقط هو من يستطيعُ طردَه. فالحزن وليدُ اللحظةِ، والفرحُ وليدٌ نتمنّى بِرّهُ لباقي أيامنا.

(موجة عارمة من التصفيق تنتشر بين الجمهور الحاضر للحفل. تنخفض هذهِ الموجة العارمة بالتّدريج. فترة صمت).

مُقَدِّم الحفل: (يستدرك حديثه): والآن دعونا نطلبُ من الشهود العيان الّذين حفّتهم عناية القدير العليم الرحيم، وأنقذتهم من الوقوع ضحايا لهذهِ المأساة الإنسانية، نطلبُ منهم أن يشاركونا هذا الحفل والتكريم، فوجودهم هنا بيننا الليلة هو أكبر ردٍّ على أعداء الحياة والنور والسلام، فليتفضّلوا معنا إلى المسرح مشكورين.

(تَعودُ وتيرة الحماس الموسيقي للسّطوع والارتفاع من جديد. تقوم الأُسَر الناجية والمتواجدة بين الجمهور بالصعود إلى خشبة المسرح تباعًا. تصل منيرة وزوجها وطفلتها منى وخالتها الجالسة على الكرسي المتحرّك أولًا إلى المسرح. منيرة فرِحَة وتتبادلُ مع زوجها وابنتها نظرات الفرح والسعادة. عبد السّلام يدفع بكرسيّ والدته. منيرة تقفُ بالقربِ من خالتها سلمى وتضع يدها بحنان وحبّ على كتفها، وتميل برأسها وتمازحها باسمةً، وتُعَدِّل من وضع حجابها. والدة عبد السّلام تضحك لمنيرة فرِحَةً وتُرَبِّت على يديها باسمةً. تنضمُ أسرة لُبنى وزوجُها وولدها عمر إلى المسرح. لُبنى تقف بين زوجها

وولدها عمر وهي حائرة مرتبكة ويداها ترتعشان بشدّة. لُبنى تحّدث نفسها مضطربةً وتقضمُ أظافرها. يبدأ محمود وولده الضرير شهاب في الوصول والصعود إلى المسرح. زينب أخت جلال تنضمُ إليهم على خشبة المسرح. تسقط العصا من يد شهاب أرضًا. تسرعُ زينب أخت جلال وتساعد الشابّ الضرير شهاب، وتناوله العصا باسمة. محمود يعود ويساند شهاب الضرير، عندها تلتقى أيدي وعيون محمود وزينب معًا. محمود يبتسم لزينب وتبادلهُ زينب الابتسام بالمثل).

زينب: (باسمةً): أخوك؟

محمود: (باسمًا): لا. ابني.

زينب: ظننتُه أخاك.

(تقف زينب بجوار محمود وابنه الضرير شهاب. شهاب يميل بجسمه إلى ولده).

شهاب: (هامسًا): من تكون هذهِ السيّدة يا أبي؟

محمود: لا أعرفها يا بُنَيّ.

شهاب: (هامسًا): أبي! هل يوجَد في أصبعها خاتم؟

محمود: (ضاحكًا): لم أنتبه يا شهاب. لماذا يا بُنَيّ؟!

شهاب: (هامسًا): انظرْ، وتأكّدْ من وجود الخاتم يا أبي.

(محمود يقتربُ من زينب. محمود يحاول النظر إلى أصابعها).

محمود: (مرتبكًا ومتلعثمًا): اسمي محمود، وهذا ابني شهاب، كنتِ في الحادث؟

زينب: (تقاطعه بحزن): أنا لا. أخي قضى في الحادث.

محمود: (متأثّرًا): رحمَهُ الله وصبّركم.

زينب: آمين. أشكرك على ذوقك ولطفك.

(شهاب يميلُ بجسمهِ ناحية محمود).

شهاب: (هامسًا تخنقهُ اللهفة): أبي أوَجَدتَ خاتمًا؟

محمود: (هامسـًا يخنقه الارتباك): لا خاتم في إصبعها يا شهاب.

شهاب: (هامسـًا تخنقه الضحكة وتزاحمه الكلمات): أبي!

محمود: (هامسـًا يخنقهُ الارتباك ويتلعثم): ماذا؟!

(ينفجرُ شهاب ضاحكًا).

شهاب: (هامسًا ضاحكًا): ألمْ تسمعها يا أبي؟ حسبَتْكَ أخي!

(محمود ينظرُ إلى شهاب ضاحكًا. محمود ينظرُ إلى زينب ويبتسم. زينب تبادله الابتسام. يصلُ سراج وأخته فرح إلى المسرح. سراج وفي يده "برواز" صورة مُغطًّى بقطعة قماش ورديّ اللون، سراج يمسك بالبرواز وتقوم فرح وتنزع القماش الوردي عن الصورة. (نرى صورة والدتهم المتوفّاة، والدتهم المرأة المفرطة في سمنتِها).

سراج: (والدموع تخنقه): هذهِ صورة والدتنا رحمها الله، رحمكِ اللهُ يا أمي وأسكنكِ فسيح جنّاته.

فرح: (تخنقها الكلمات): رحمَكِ الله يا أمي. أعرف أنّكِ ترينَنا الساعة.

(ينظر إلى أخته مبتسمًا. سراج وفرح يرفعان معًا صورة والدتهما فرحًا أمام الجمهور. تنطلقُ موجة جديدة حارّة من التصفيق المتزامن مع السطوع الحماسي الموسيقي. قليلًا وتعودُ الموسيقى الحماسية إلى الخفوت التدريجي، وتبقى حاضرة خجلة. تصهلُ الموسيقى الاحتفالية وتمتزج بتصفيق وهتاف الحضور في الحفل. (فترة صمت).

مُقَدِّم الحفل: حضورنا الكريم: الألم لهُ صوتٌ واحدٌ عندما يصبحُ في حدودهِ القصوى، فهيّا بنا ننتصر على الظلام والألم ونلوّح برايات الفرح والسعادة، فالألم يُنسَى عندما نسمح له بالمغادرةِ والذهاب بعيدًا عنّا. يُسعدنا الليلةَ أن نكرّم المُصَوِّر الفذّ البطل الصحفي خالد عبد الله الذي لم يُصَب بالعجز والخوف، بل استطاع بعدسته التي لم تُلوّثْها مِقصلة المونتاج الشرهة أن يصّور لنا بشاعة هذهِ المأساة، وما تحملهُ من علقم الألم والحزن والخوف والفقد ومرارة الذّكرى، إذ استطاع أن يؤكِّد ما يُقال: «الأكثر جمالًا يُولَدُ من رحم الألم والمعاناة».

فليتفضل المُصَوِّر الصحفي خالد عبدالله مشكورًا لاستلام جائزتهِ.

(تنطلقُ موجة من التصفيق والتهليل. وتتزامن مع عودة الموسيقى الحماسية للسّطوع. وتنطلقُ ومضات الفلاشات من كُلِّ حَدْبٍ وصوب، تسلّطُ ضوء الكشّاف الضوئي على مكان وجود المُصوِّر خالد عبد الله بين الجمهور. مريم تحثُّ خالد على النهوض من مكانه. يقفُ ويتقدم ويتّجه ناحية منصّة التكريم وسط موجة عارمة من التصفيق والتهليل. مريم ترافقه أثناء صعوده إلى المسرح وهي في قمة الفرح والزّهو. تستمرُ الإضاءة الكاشفة ترافق صعودَهما واتجاهَهما إلى خشبة المسرح. المُصوِّر وأثناء صعودهما يُفاجَأ بوجود الطفل نهار جالسًا على الكرسيّ المتحرّك بين الجمهور. المُصَوِّر ينصدم ويقف جامدًا كصنم في مكانهِ وعيناه على الطفل نهار الذي يضع عينيهِ في عيني المُصَوِّر وابتسامة ساخرة تلوح على فمِه. تنطلقُ صيحات الجمهور وتزيد موجة تصفيقه. وتتمازج بصيحات المطالبة بصعوده إلى المسرح. مريم تدفعُ خالد وتحثّهُ على التقدم وتجرّهُ معها جرًّا إلى خشبة المسرح. يصلُ خالد عبد الله إلى خشبة مسرح التكريم. يتمّ إدخال الكأس الذهبية الكبيرة التي نالها المُصَوِّر عن فوز صورهِ بالجائزة. يتقدّمُ لاستلام الجائزة وسط موجة كبيرة مدوِّيَة من التصفيق والتهليل وصهيل الموسيقى الاحتفالية. يقتربُ أحد المنظِّمين من مُقَدِّم الحفل ويهمسُ لهُ، ويشير بيده إلى مكان جلوس نهار بين الجمهور. تقومُ الإضاءة الكاشفة وتتعثر مرتبكة ومتخبّطة في بحثها عن مكانه، حتى تجده، وتسلّط الإضاءة الساطعة على مكان جلوسه بين الجمهور).

مُقَدِّم الحفل: (مرتبكًا ومتلعثمًا): نرجو المعذرة. نرجو المعذرة. في غمرة انشغالِنا وفوضى الفرح التي نعيشها، نسينا أحد الناجين المهمّين من الانفجار الدموي الغادر. نرجو المعذرة، ونطلبُ من الناجي الطفل نهار القدومَ إلى المسرح ومشاركتَنا حفلنا. (يستدرك وبصوت عالٍ) ساعدْهُ حتى ينضمّ إلينا.

(يقومُ الناجون والمتواجدون على خشبة المسرح بالتصفيق للطفل نهار، وتنتقل عدوى تصفيقهم إلى باقي الحاضرين في قاعة الحفل. الجميعُ يصفّقُ ويهلّلُ لقدومه. عدا المُصوِّر خالد عبد الله ولُبنى المرتبكة والمضطَربة والمنكمشة على نفسها. يقومُ المُنظّمون والمتواجدون في أرض القاعة بمساعدة الطفل نهار المُعاق والجالس على كرسيِّه المتحرّك، ومرافقتِهِ للصعود والوصول إلى خشبة المسرح. يظهر لنا من بين الجمهور جلال وفي يدهِ فطيرة يلتهمها بنهم. هاتف لُبنى يرنّ ويصهلُ. لُبنى وبيد مرتعشة تنظر إلى هاتفها).

لُبنى: (تُحدِّث نفسَها خائفة): جلال يتصل بي!!

(لُبنى ترى جلال يجلس بين الجمهور وهو يلتهم الفطيرة، ويلوّحُ لها بالهاتف لتفتحَهُ لتردّ عليهِ وتُحدّثه. لُبنى غير مُصدِّقة ما تراه عيناها. جلال يلوّح لها بيدهِ لتفتح الهاتف وتُحدِّثهُ. لُبنى تأخذ الهاتف بيد مرتعشة وتُحدّثهُ).

لُبنى: (منفعلة): جلال! لا يا جلال! اتركها عنكَ. لا تأكلها إنّها مسمومة.

جلال: (ضاحكًا) ولكنّها من يدكِ يا حبيبتي. عسلٌ على قلبي.

(جلال ينفجرُ ضاحكًا. لُبنى تهمُّ بمغادرة المسرح. زوجها يحاول منعها).

لُبنى: (منفعلةً): اتركني أُغادر. اتركني يا حامد.

حامد: أنا لم أثق بكِ لحظةً واحدة، كنتُ أعلم، وتركتكِ تفعلين ما يحلو لكِ معي. أنتِ ملكة، ولكنّكِ اخترتِ أن تكوني معه، ورميتِ بكلِّ شيء خلفَكِ.

لُبنى تقتربُ من ابنها عمر وتطبعُ قبلةً عميقة على جبينهِ.

لُبنى: (بنشوة النصر) هل تظنني أتألّم يا حامد، أنت الذي يتألم وليس أنا، تتألم لأنّك لصّ، المال لا يشتري كلّ شيء، سرقتَ عمري وشبابي، وكنت تعلمُ رفضي للزواج بك، ومع كل هذا ساومتَ والدي بيني وبين إدخالِه السجن بسبب ديونه التي أغرقتَهُ فيها، أنا لم أخنك معه. أنا كنت أضع خطتي للاحتفال مع مَن أحب بعد طلاقي منك وتخلّصي من حزِّ قيودك وظلمِك لي. حامد هذا فراقٌ بيني وبينكَ. سأذهب من هنا. حامد المُسِنّ ينظر إليها مستغربًا).

حامد المُسِنّ: إلى أين؟!

لُبنى: (تخنُقها الكلمات): سأقابله. اعتنِ بعمر. أنا ذاهبة!

(لُبنى تنزلُ عن خشبة المسرح، وتعودُ إلى القاعة والجمهور وهي في قمّة الاضطراب والارتباك. يهمُّ الطفلُ عمر بالذهابِ معها. يمسكه الأب ويضع يديه على عينيه. وشبهُ ابتسامة على وجهِه. يختفي خيال جلال من القاعة. تبحث لُبنى عنهُ بين الجمهور وهي في حالة من الهياج والانهيار العصبي).

لُبنى: (في قمة الهياج): جلال! أين أنت؟ جلال!

(المنظّمون في القاعة يحاولون منع لُبنى المنهارة والهائجة).

لُبنى: (صارخةً وفي قمّة الهيجان): اتركوني. اتركوني. أذهب.

(لُبنى تنفلتُ من أيدي المنظِّمين وتخرجُ مسرعةً من الحفلِ. يصل زوجها وطفلها إلى قاعة الحفل عند الجمهور. زوجها يمسكُ ابنَه ويمنعهُ من المغادرة).

حامد المُسِنّ: تعالَ يا عمر. تعالَ. ابقَ معي.

(نسمعُ صوت فرامل واصطدام سيّارة مسرعة بجسم. تشرق ابتسامة الفرح على مُحَيَّا حامد المُسِنّ، ومن الجانب الآخر يظهر لنا الشخص الذي كان يتقمّصُ شخصية جلال. يقتربُ الرجل المتقمّص شخصيةَ جلال من حامد المُسِنّ. يعطيه ظرفًا. الرجل المتقمّص شخصيةَ جلال يفتح الظرف وينظر ما في داخله. الرجل المتقمّص شخصيةَ جلال فرِح. يقبّلُ الظرف باسمًا. الرجل المتقمّصُ شخصيةَ جلال يغادر المكان. حامد المُسِنّ يمسك ابنه عمر. ويغادران الحفل. يصلُ الطفل نهار إلى خشبة المسرح أخيرًا. تصدحُ الموسيقى الحماسيّة من جديد، وتتلاعب الأضواء وتتراقص حول الصورتين

المُحتَفَى بهما والمرتكزتين على واجهة المسرح. تخفتُ الإضاءة حتى تتلاشى وتذهبُ معها الموسيقى الحماسية وترحل. تبدأ بقعتان ضوئيّتان خجلتان في السطوع تدريجيًّا. البقعة الأولى مُسلَّطة على الطفل نهار المُعاق، والجالس على الكرسيّ المتحرّك وفي يدهِ حذاء جدّهِ يحضنه. يظهرُ الجدّ منصور في المشهد وعليه آثار الانفجار والجروح والدماء. وابتسامة تنير وجهه المُتعَب. خالد في قمّة الاندهاش والحيرة يراقبُ الجدّ منصور وهو يتقدّم ويقتربُ من مكان وجود الطفل نهار. البقعة الضوئيّة الثانية مُسَلَّطَة على المُصَوِّر المذهول. الطفل نهار ينظرُ إليه باستهزاء وفي يديهِ حذاء جدّهِ الذي يهمُّ بالوقوف ولكنّهُ يعدِل عن ذلك. الجدّ منصور ينظرُ إلى المُصوِّر خالد ويرسمُ بسمة على وجههِ).

العمّ منصور: (ساخرًا) مُباركٌ عليكَ ما وصلت إليه من مجد وشهرة يا بطل!

(المُصوِّر خالد في قمة الارتباك. المُصوِّر خالد يبلعُ ريقه بصعوبة وألم).

(فترة صمت).

المُصوِّر خالد: (مرتبكًا ومتلعثمًا): أشكركم. أشكركم.

المُصوِّر خالد: (يستدركُ حديثه): وأنا عند وعدي لنهار.. سوف أشتري له أحدث كاميرا.

يهمُّ المُصوِّر خالد عبد الله بالتقدّم ناحيتهما. العمّ منصور وكذلك الطفل نهار يرفعان أيديهما، ويطلبان منهُ التوقّف وعدم التقدّم. (المُصوِّر خالد عبد الله يقف في مكانه كصنم).

الطفل نهار: (منفعلًا صارخًا): لا أريدها. لا أريد هذا الكابوس، لا أريد أن أكون مصوِّرًا مُستَنَسَخًا عنك.

(خالد المُصَوِّر مصدوم ومذهول ممّا يرى ويسمع. ينكّس رأسهُ إلى الأرض. مريم تشير بيديها وتحثّه على التقدّم وأخذ الجائزة. مُقَدِّم الحفل ينظرُ إلى المُصوِّر خالد مستغربًا. المُصوِّر في قمّة الحيرة والارتباك والتّيه. ترتفع صيحات الجمهور مطالبةً خالد بالتقدّم وأخذ الجائزة، وتشتعلُ الفلاشات الخارجية وتُنير المكان، وتمتزجُ بهتافات الحضور وتصفيقهم للمصوّر. الظلام يلفُّ المسرح ويبتلعُه. صمتٌ مُطبِق يلتهمُ المكان. قليلًا وتعودُ الإضاءة إلى وضعها الطبيعي. يختفي الجدّ منصور من المشهد. الطفل نهار على كرسيّه المتحرّك ينظرُ إلى المُصوِّرالذي يتراجع إلى الخلف خائفًا ومرتبكًا. مريم تحثّهُ على التقدّم واستلام الجائزة).

مريم: (صارخةً): تقدّمْ يا خالد، هيّا. تقدّمْ وخُذ جائزتك. تقدّم. ما بكَ؟!

(المُصوِّر خالد حائر. ينظر إلى الطفل نهار مرتعشًا. تنطلقُ الفلاشات الخارجية من جديد وتحاصره. يتقدّم ناحية الجائزة مرتبكًا. مريم تصفّق لهُ وتشجّعهُ على التقدّم. يقفُ أمام الجائزة حائرًا ومتردِّدًا. يترك الجائزة ولا يأخذها. ويذوبُ

هاربًا، ويختفي بين الجمهور في قاعة الحفل. يتمُّ الآن خروج جميع الناجين من فوق خشبة الحفل، ويعود الجميع ويجلسون مع الجمهور الحاضر للاحتفالية المُقامة لتكريم المُصَوِّر خالد عبد الله. تصدح الموسيقى الاحتفالية وتتوهّج احتفالًا به، وتقومُ الكشّافات وتسطعُ وتشارك الموسيقى احتفالَها الصاخب. وفي هذهِ اللحظة يظهر لنا السائح الأجنبي وعلى كاهله حقيبة ظهر جديدة. يقف على أرض مسرح الاحتفالية. يتقدّم السائح الأجنبي ويأخذ الميكروفون ويتحدّث فيه).

السائح الأجنبي: (بألمٍ وانفعال): ما هذه الفوضى المجيدة؟ تأسرني وتتملّكني متعةٌ مجهولةٌ لا تدركونها، أمتلكُ كلّ شيء في يدي، وسوف أنهيه الليلةَ بكبسة زرٍّ صغيرة، لا نستطيعُ الهروب والرحيل إلّا إذا طِرنا، ولكنّي سأُحرِّركم جميعًا من هذهِ الحياة المالحة، وأُحرّرُ نفسي معكم.

(السائح الأجنبي ينزعُ الحقيبة عن ظهرهِ. ويحاولُ فتحَها. يقومُ رجالُ الأمنِ بمنعه وهو في قمّة الانفعال والغضب يقاومهم).

السائح الأجنبي: (ثائرًا هائجًا) يا للألم! يا للألم! اتركوني يجب أن تذوقوا الألم كما تجرّعتُه من قبل. اتركوني. أنتم أخذتم مني زوجتي ونحنُ في ربيعِ زواجنا! قتلتموها وقتلتموني معها!

(رجال الأمن يُحكمون قبضتهم عليه رغم محاولاته المستمرّة في التحرّرِ منهم).

السائح الأجنبي: (متألمًا تخنقهُ الدموع والكلمات): ما معنى أن أعيش وأتحرّك وقد أصبحتُ فارغًا من الإنسان الذي يسكُنني؟ قتلتموها في حادث انهيار الفندق الذي كنّا نقضي فيه أيّام عيد زواجنا الأول. كم أتوقُ إلى عينيها! سوف أقتلكم جميعًا اتركوني!

(يحاولُ السائح الأجنبي المقاومة والإفلات منهم).

السائح الأجنبي: (بألم وانفعال): أن تنام وحيدًا، وأن تأكل وحيدًا، وأن تبقى دائمًا وحيدًا، الأمرُ مقيتٌ ومؤلم.

(ينظرُ إليهم ويقاومهم بكلّ ما لديه من قوة وعزم).

السائح الأجنبي: (يستدركُ صارخًا ومنفعلًا): تبًّا. اتركوني. اتركوني هذهِ المرة سوف يكون الدمار أكبر وأقوى من التفجير السابق في محطّة الحافلات. دعوني أُسكِتُ بقايا هذا الألم. يا للألم! يا للألم! دعوني. دعوني أنسفُ ركام ألمي واختفي!

(يصرخُ السائح الأجنبي ويبكي ثمّ يضحك بحالة هستيرية)..

السائح الأجنبي: (في قمّة الانهيار): اللعنة. اتركوني. اتركوني. يكفيني ألمًا. قد يكون الموت هو الحلّ المُتاح والفعّال لألم الذكرى ونزيفها الحارق.

(يقومُ رجالُ الأمنِ بإحكامِ قبضتهم على السائح الأجنبي. تنخفضُ الإضاءة المُسلَّطة على الصورتين المُحتَفى بهما بالتدريج. إظلام).

***

شخصيات تجسّد مسرحيّة «مشاعر مُبعثَرة»

1. **خالد عبدالله**: مُصَوِّر شابّ مغمور يعشقُ التصوير والصحافة، ويحاول شقّ طريقه ليصبح مُصَوِّرًا وصحافيًّا مشهورًا ومعروفًا. يبلعُ ألمَ خوفهِ وتردّدهِ، ويرمي بإنسانيّته ليطاردَ حلمَه الشارد، وفي لحظة التتويج يعودُ وينتصر لإنسانيته المسروقة ويرفض بيع قيمه وضميره.
2. **العمّ منصور**: رجل مُسِنّ طاعن في العمر ساقتْهُ الأقدار إلى حتفهِ، ويتعرّضُ للقتل على يد أحد الإرهابين أمام عيني حفيدهِ اليتيم، ليخلّف وراءه ألمًا لا يُنسَى.
3. **الطفل نهار**: طفل في العاشرة من عمرهِ، يعملُ نادلًا في مقهى منسيّ كي يُعيلَ أسرته، ويحلم باليوم الذي يمتلك فيه آلة التصوير الخاصّة به، ولكنّهُ يتجرّعُ من منبع الألم ويعيش تجربة مريرة مؤلمة.
4. **السائح الأجنبي**: سائح أجنبي تعرّضت زوجتهُ للقتل في حادث انهيار الفندق الذي كان يسكنه مع زوجته، وأعماه ألم الفقد وحوّله إلى إرهابيّ يسعى خلف سراب الانتقام حتى يشفى من جراح ألمه الطازجة والملتهِبة.

5. **منيرة**: ممرّضة شابّة ومتزوّجة، ترفضُ العيش مع أمّ زوجها، وتطالبُ زوجَها بمنزل منفصل لها وحدها، تدّعي ألم الخذلان من زوجها، وتنسى حقوق أمّ زوجها المُسِنّة والمريضة.
6. **عبد السّلام**: زوج شابّ يحبُّ زوجتهُ (منيرة) التي تطالبهُ بمنزلها الخاصّ الذي تسكنهُ بعيدًا عن أمّهِ المريضة، إلحاح زوجته أنساهُ دموع ألمِ الخذلان الذي يجرح عيونَ والدتهِ، وأصبح يُفكّرُ في الرضوخ إلى مطالب زوجته، قبل أن يصحو ويراجع نفسه.
7. **الطفلة منى**: طفلة على أعتاب العاشرة من عمرها، ابنة عبد السّلام ومنيرة تعيش معهم أحداث وآلام هذهِ المأساة.
8. **جلال**: شابّ يرتبطُ بقصّة حبّ مع امرأة متزوجة، ويتفقان على الزواج بعد طلاقها من زوجها. يُكوَى بألم الغيرة، ويفقد حياتهُ بيد من يحبّ.
9. **لُبنى**: شابّة ترتبطُ بعلاقة حبٍّ بجلال، وتُمنّي نفسها باليوم الذي تُطَلَّق فيه من زوجها لترتبط بجلال. تُعميها آلام الغيرة، وترتكب حماقة تكلّفها الكثير من الحزن والآلام.
10. **حامد**: زوج لُبنى المُسِنّ الذي يكتشفُ علاقتها مع جلال، ويحرمها من ابنها الوحيد، ويرفض تطليقها ليزيد من مساحات الجفاف وآلامها، ويجعلها المُضاءَة الوحيدة في ليلها الحالك.
11. **الطفل عمر**: طفل صغير في التاسعة من العمر، ابن لُبنى وحامد. يعيش ألم الحرمان من دفء أسرته.

12. **محمود**: رجل في العقد الرابع. أرمل ولديه ولدٌ كفيف البصر تشترطُ عليه أمّ خطيبتهِ أن يتخلّى عن ابنه الضرير كي توافق على ارتباطِه بابنتها، يخاف ألم الوحدة مما يدفعهُ لقبولِ شرط خالتِه بالتخلّي عن ابنهِ الضّرير شهاب).
13. **شهاب**: شابّ يتيم الأم، كفيف البصر، تحاصرهُ الآلام وترميه بعيدًا، ويحاول بكلّ ما لديه من عزم تلمّس الفراغ الذي يحيط به، والوصول إلى برّ الأمان مع والده.
14. **بدرية**: شابّة متوسّطة الجمال، خطيبة محمود التي تشترط أمّها تخلّي خطيبها عن ابنه الكفيف حتى توافق على زواجها ممن تحبّ رغم خوفها من ألم العُنوسة الذي يحاصرها.
15. **أمّ بدرية**: والدة بدرية المتسلّطة التي ترفض تزويج ابنتها لمحمود بسبب وجود ابنِه الكفيف ورغبته في عيشه معهم، ترفض تعرّض ابنتها لألم المشاركة وحبّ خطيبها لابنه الكفيف.
16. **العمّ ألماس**: رجل على أعتاب العقد السادس من عمره، أرهقته الحياة. يعمل محصّلًا لتذاكر الحافلات. يُفاجَأ بالاستغناء عنه وعن خدماته لوجود ما كينة جديدة تقوم بعمله في قطع التذاكر للمسافرين. تجرّع الكثير من خيبات الألم والخذلان، تنتهي بالقبض عليه في جريمة لم يرتكبها.
17. **سراج**: شابّ يخجلُ من سمنة أمِّه المفرطة. ويتعذّر بألم خجله من سمنة أمِّه ليبرّر فعلته وعقوقه لها.

18. **فرَح**: أخت (سراج) شابّة تخجل من سمنة أمِّها المفرطة. وتتعذّر بألم خجلها من سمنة أمها لتبرّر فعلتَها وعقوقَها.
19. **المرأة المفرطة في السمنة**: والدة سراج وفرَح التي تعاني من سمنة مفرطة وألم عميق في نفسها لخجل أبنائها من سمنتها وشكلِها.
20. **ماري**: العاملة التي ترعى شؤون أمّ فرح وسراج. ترافق هذه المرأة المُسِنّة، وتحاول تخفيف ألمها.
21. **الرجل الملتحي**: رجل أربعيني متديّن عابر سبيل. يبقى على يقين بأنّ كلّ الآلام نهايتُها وفرجها مع الاقتراب أكثر من الله، والتمسك بالدّين، وحبّ الحياة والناس.
22. **مريم**: شابّة في غاية الجمال خطيبة المُصوِّر خالد التي وافق والدها على خطوبتهما بعد نيله الجائزة الكُبرى. تتمسّك بخالد الواقع تحت سطوة حبّها وجمالها الباهر.
23. **زينب**: شابّة أخت جلال التي فقدت مع فقْد أخيها كلَّ أملها في الحياة، ومع نهاية هذه المأساة تنمو براعم الأمل من جديد في حياتها.
24. **سلمى**: مُسِنَّة ومُقْعَدة، أمّ عبد السّلام المريضة التي تعاني من ألم الخذلان والخوف من الغد.

الشخصيات المُساعِدة لسير أحداث المسرحيّة

1. الطبيب: شابّ يشارك في إنقاذ المصابين في حادث التفجير الدامي.
2. طبيبة: شابّة تشارك في إنقاذ المصابين في حادث التفجير الدامي.
3. عامل الصيانة: شابّ شارك في حفل افتتاح الماكينة الجديدة في المحطّة.
4. مدير المحطة: مدير المحطّة التي يعمل فيها العمّ ألماس.
5. مُقَدِّم الحفل: شابّ يقدّم حفل تكريم المُصوِّر خالد عبد الله.
6. المسعف (1): شابّ شارك في إسعاف وإنقاذ المُصابين في التفجير.
7. المسعف (2): شابّ شارك في إسعاف وإنقاذ المُصابين في التفجير.
8. المسعف (3): شابّ شارك في إسعاف وإنقاذ المُصابين في التفجير.
9. الممرِّض: ممرِّض في المستشفى، شارك في علاج المصابين في التفجير.
10. الشرطي: لمشهد القبض على العمّ ألماس.

الأدوار الثانويّة المُساندِة

1. عدد 4 من الشباب تُسنَد إليهم أدوار المسعِفين.
2. مجموعة من الأشخاص من كبار السّن لمشهد المقهى والحفل.
3. طفلة لمشهد قصّ شريط الاحتفال بالماكينة الجديدة في المحطة.
4. (3) أطفال لمشهد تمزيق الكرة قبل حدوث الانفجار.
5. مجموعة من المُنظِّمين لمشهد حفل التكريم.
6. بعض أفراد الشرطة لمشهد القبض على العمّ ألماس.
7. شخص يتقمّصُ شخصية جلال في ليلة الحفل الكبيرة.
8. دمية الطفلة منى التي تُصاب في التفجير الإرهابي، وتُبتَر إحدى يديها في الحادث الدموي.
9. ترُافقنا أغنية (أقبلَ الليلُ) لكوكب الشرق (أم كلثوم)، وتكشف لنا هذهِ المشاعر المُبعثَرة.